

# الصرفة والإعجاز القرآني

ما لها وما عليها

عمار توفيق أحمد بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

## الكشاف

٣	مقدمة
١٠-٧	المبحث الأول: تعاريف.
	المطلب الأول: تعريف الصرف لغة.
	المطلب الثاني: تعريف الصرف اصطلاحاً.
	تنبيه على التعاريف المنتشرة.
	المطلب الثالث: مفهوم الصرف على وجه الإجمال.
	المبحث الثاني: بين يدي الصرف.
	المطلب الأول: الصرف في كتابات الباحثين.
	الأبحاث القديمة في الصرف.
	الأبحاث المعاصرة.
	المطلب الثاني: نشأة فكرة الصرف والمهد الذي ولدت فيه.
	المطلب الثالث: تحقيق القول في أول من قال بالصرف.
	سبب الاختلاف في نسبة الصرف منة جهة الأولية.
	القول الأول: واصل بن عطاء.
	القول الثاني: أبو موسى المردار.
	القول الثالث: أبو إسحاق النظام.
	القول الرابع: الجعد بن درهم.
	تعليق على الأقوال السابقة وبيان الراجح.
	المطلب الرابع: دوافع القول بالصرف.
	الفريق الأول: المشككون بنوايا الصرفيين

الفريق الثاني:عدوا الصرفة من باب الدفاع عن القرآن الكريم.

الفريق الثالث:القول بالصرفة سببه عدم معرفة وجه التحدي.

الفريق الرابع:القول بالصرفة إعجاب بغرابتها.

القول الخامس: القول بالصرفة، لأن دلالة المعجزة النبوة أهم من المعجزة القرآن.

تعقيب على مواقف الأطراف.

المبحث الثالث: المعتزلة والصرفة.

المطلب الأول: النظام سيد الصرفة وحقيقة نسبتها إليه.

المطلب الثاني: مذهب المعتزلة والقول بالصرفة.

المطلب الثالث: الجاحظ والصرفة.

الموضع الذي قال في الجاحظ صرفته.

تأويلات قول الجاحظ بالصرفة.

الرأي الأول: رأي الرافي.

الرأي الثاني: د. الخطيب، ود. أبو موسى، ود. عمار، ود. عرفة.

الرأي الثالث: لصاحب كتاب التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة.

رأبي وترجيحي في صرفة الجاحظ.

ولكي تبقى صورة الجاحظ البلاغية مشرقة.

المطلب الرابع: الرماني والصرفة.

المطلب الخامس: القاضي عبد الجبار والصرفة.

الذي دفعني لتناول ما كتب عبد الجبار المعتزلي.

نقضه للصرفة.

توجيه عبد الجبار للصرفة.

المبحث الرابع: خروج الصرفة من عباءة المعتزلة ودخولها باب الإعجاز.

المطلب الأول: دخول الصرفة باب الإعجاز عند أهل السنة.

أهمية هذا المطلب الخطر.

تصنيف موقف علماء أهل السنة من الصرفة ستة أصناف.

الصنف الأول: القائلون بالصرفة في باب الإعجاز.

١. الإمام الماوردي ت ٤٥٠هـ.

٢. الحافظ البيهقي. ت ٤٥٨هـ.

٣. إمام الحرمين الجويني. ت ٤٧٨هـ.

٤. حجة الإسلام الغزالي. ت ٤٨٨هـ.

٥. المفسر الأصفهاني. ت ٥٠٣هـ.

٦. ابن حزم الأندلسي. ت ٥٤٨هـ.

٧. المفسر ابن جزى الكلبي. ت ٦٣٧هـ.

٨. عضد الدين الإيجي. ت ٧٥٦هـ.

٩. بعض أصحاب أبي الحسن الأشعري.

الصنف الثاني: قائل بالصرفة على وجه الاحتمال وحيناً على وجه الصراحة.

ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ.

تنبيه على تحليل الدكتور أحمد سيد عمار.

الصنف الثالث: عدّ الصرفة قولاً ضعيفاً، فتساهل في ذمها.

ابن تيمية.

العرض المشوش لرأي ابن تيمية من الدكتور أحمد عمار.

رأيي في قول ابن تيمية.

الصنف الرابع: عدّ الصرفة سلاحاً يقاتل به خصوم الإسلام.

ابن كثير الدمشقي المفسر. ت ٧٧٤هـ.

الصنف الخامس: نقلوا القول بالصرفة في كتبهم، فاتهموا بها.

اتهام السيوطي بالصرفة وتبرئته منها.

- اتهام القرطبي بالصرقة وتبرئته منها.
- الصنف السادس: ذكر معنى الصرقة ولم يذكرها نصاً.
- الفخر الرازي المفسر. ت ٦٠٦ هـ.
- المطلب الثاني: دخول الصرقة باب الإعجاز عند الشيعة.
- جدال الشيعة حول صرقة المرتضى.
- إثباتي صرقة المرتضى من كتب الشيعة.
- صرقة ابن سنان الخفاجي الشيعي.
- المبحث الخامس: الإعجاز بالصرقة.
- المطلب الأول: الصرقة بحد ذاتها إعجاز.
- المطلب الثاني: أوجه القول بالصرقة، وتعدد مفاهيمها.
- الوجه الأول: صرف الهمم عن المعارضة.
- الوجه الثاني: صرف الدواعي وهو المنع عن المعارضة.
- الوجه الثالث: الصرقة عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم.
- الوجه الرابع: صرقة مبهمة غر مفسرة ولعلها تعني المنع.
- الوجه الخامس: سلبهم العلم بكيفية نظمه وفصاحته.
- الوجه السادس: سلب العقول.
- الوجه السابع: شبه الآفة اعترضتهم.
- الوجه الثامن: صرقة النظام.
- المطلب الثالث: أدلة القول بالصرقة.
- المطلب الرابع: أدلة نقض الصرقة.
- المطلب الخامس: إيجابيات القول بالصرقة.
- المطلب السادس: سلبيات القول بالصرقة.

خاتمة البحث

رأبي المتواضع في الصرفة

تعليق على موقف القاضي عبد الجبار.

تعليق على الجواد الذي كبا د. أحمد عمار

تعليق على الباقلاني في نكت الانتصار

وأختم بالقول

مسرد المراجع

## مقدمة

أرسل الله تعالى الرسل للبشر، وأقام لهم الحُجَجَ الدامغة على رسالاتهم، والدالة على نبوتهم، وأنهم يحملون أمانة السماء، لأهل الأرض، والمتمثلة بالرسالات التي جاءوا بها من عند الله العليم الخبير.

وكان لكل رسول حجةً على قومه، فقال عزّ ذكره وتبارك اسمه، عن حجة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾<sup>(١)</sup> وكذلك سائر الأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه.

وحُجَجُ الأنبياء ينبغي أن تكون معجزة تعجز الناس، فلا يستطيعون إليها سبيلاً، فتحقق الغرض منها، وهو إذعانهم لرسالة الرسول المرسل إليهم.

ومما يشترط في المعجزة أن تكون ظاهرة، واضحة، جلية، ناصعة، لا غموض فيها ولا لبس، فتظهر حجيتها، وتذل الرقاب لها خاشعة من سطوع برهانها، وقوة دلالتها. والمعجزة تكون من جنس ما يفهم القوم، وأشرف ما يمتازون به، وأنبأ ما يفتخرون من مآثرهم.

ولهذا، حينما بعث الله تعالى جلّ ذكره وتعالى اسمه، نبيه محمداً ﷺ للعرب خاصة وللناس عامة، أنزل الله تعالى حجة نبيه محمداً ﷺ من السماء، وفي هذا تكريم، وتبجيل، ما كان لنبي من قبله، وهذه الحجة المكرمة، هي القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو من لدن حكيم خبير.

وكانت هذه الحجة الوضاعة، تاجاً منيراً على رؤوس العرب، وجوهرة تسمو فوق فصيح كلامهم وبليغ عبارتهم، فتناسبت مع حال قوم جزالة اللفظ صناعتهم، ولقطُ درر الكلام مهنتهم، لهم ذوق في البيان رفيع، يميزون به طعوم الكلام، ويستسيغون به رائق المعاني.

فلما استمعوا لخبر السماء ينزل غضباً طرياً، وشاهدوا الوحي، فيسمعون صليل الحديد، ودويّ النحل يتنزل من الأفق الأعلى على قلب الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، انتابتهم نوازع الفصحاء الألباء فما ملكوا منع نواصيهم من السجود، والهجوع في آناء الليل يسترقون السمع للتنزيل المجيد، والذكر الحميد. فاستطاعوا الميز بين كلامهم والكلام الجديد.

ومنهم من ركب العناد، واستسلم لحظوظ النفس ونعرة الجاهلية، فخاصم خصومة الألد، وعادى عداوة الحقد.

والقرآن الكريم تأخذهم آياته، بالشدة واللين، وتثير لهم سبل الخير وتعرفهم بالله القوي الخالق المعبود، تارة، وأخرى يقرع صدورهم، ويتحدى قرائحهم أن يأتوا بمثله وهم خلص العرب في الذوق السامي، والبيان العالي، فجمدت قرائحهم وجفت سلائقهم، فعجزوا عن الإتيان بمثله، ولا بسورة ولا بآيات...، ووقفوا مدهشين، لا يملكون دفعاً ولا رداً.

وتعجب العلماء من بعدهم يخللون هذا الموقف العجيب لعالمقة الأدب وفرسان البيان، وأرباب الجزالة اللفظية، والعبارة البلاغية. فمنهم من هداه الله تعالى إلى سر نوره المبين، ففطن إلى أن هذا القرآن روح تسري في الأوصال ونور يضيء جوانح القلوب ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾<sup>(١)</sup>.

وتوارد العلماء الفصحاء على القرآن الكريم، يحاولون كشف سر هذه المعجزة الفريدة، وبيان وجهها الأكيد، ووضع اليد على موضع دهشة العرب من عظمة القرآن، فتعددت وجهات نظرهم، فمنهم من عدّ الفصاحة وجهه الذي لا منازعة فيه، ومنهم من عدّ نظمه أساس إعجازه، ومبنى عباراته، وهو القول الفصل الذي لا قول بعده، ومنهم من تفكر في أسرارهِ، فقال: علوم الغيب هي سر القرآن، وقالوا.. وقالوا...

ومنهم من استهجن صمت بلغاء العرب، عن الإتيان بمثل الكتاب الكريم، وطفق يحلل ويخمن ويخمس ويسدس، فطلعت عليه فكرة، أن هذا الإعجاز ليس من القرآن ذاته، بل هو خارج عنه، والمُخرج ليس مخلوقاً مثلهم، إنما هو الله الخالق منزل الكتاب وباعث الرسول صلى الله عليه وسلم.

وظهر قول غريب، الله أعلم بنية صاحبه، يدعي ويزعم أن وجه الإعجاز في القرآن أن صرفَ الله تعالى، العرب عن الإتيان بمثله، ولو لم يصرفوا لأتوا بمثله، فجعل وجه الإعجاز من خارج القرآن، وهو قول فيه للخير متسع وفيه للشر بحبوحه.

وهي كلمة قالها شخص يدعى أبو إسحاق إبراهيم النظام ت ٢٣١هـ، من شيوخ المعتزلة، رمى بها عن تبصر أم عن تسرع في القرن الثالث الهجري، فظل صداها يتردد بعده بقرون إلى القرن الثامن وما يليه.

والعجيب أن هؤلاء المعتزلة فيهم، نبتت الصرفة، ومن بين صفوفهم انطلقت فكرة إعجاز القرآن، أيضاً.

وفكرة الإعجاز بالنظم القرآني معتزلية المنشأ، أشعرية التأصيل، بمعنى أقام أساسها عبد الجبار المعتزلي، ت ٤١٥هـ، وشيد بنيانها الرائع عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ. ومر عليها الجاحظ، ت ٢٥٦هـ، دون أن نرى أثره.

وهذا البحث ستجد فيه ملف الصرفة، ما لها وما عليها. فمرة تشاهدها طعينة دامية، أثختها أسنة الأقلام المعارضة، وأخرى تراها لها قوام يستعصي على الطعان.

وتطلب البحث مني أن أقرأ مئات الصفحات قبل أن خطت يميني كلمة واحدة فيه، فهو شائك ويحتاج إلى تفكير عميق عسى أن يستطيع الباحث من خلاله تمييز الأقوال وأن يصحح ويصوب، وأن ينتهي إلى الصائب منها، فقد تضاربت مواقف الجهابذة الكبار وأساطين العلم وكراسي الأستذة حول الصرفة، فإن لم يجد الباحث عوناً من الله تعالى جلت قدرته، فالوصول فيها إلى قرار صعب المنال، هذا لمن كان دأبه التفكير، وليس همه جمع الأقوال.

واضطرت إلى العودة إلى المراجع الأصلية التي تحدثت عن الصرفة، وما قبلت الأخذ من الجدول رغم صعوبة الوصول للمنبع، وصبرت نفسي في قراءة كتب المعتزلة للقاضي عبد الجبار وغيره، وكتب الشيعة للمجلسي وغيره، عوضاً عن التدقيق في كلام أهل السنة من الأشاعرة، ومن تلاهم. وجُلْتُ في كتب العقيدة والتفسير والإعجاز. وكونت من قطفها ثمرة أرجو أن تكون صالحة حول الصرفة.

لقد بذلت جهداً كبيراً جداً منذ جمع المعلومة إلى التحليل والتصويب، وما كنت أدري أن الأمر سيصل إلى هذا المقام. ولو كان في الوقت متسع، للأمر اتسع.

وأنوه، أي كتبت هذا البحث بسرعة المستوفز، ووثبة العجلان، ولا يعني ذلك أي توقفت عن النظر فيه، وتأمل صفحاته، وإنما أعني إذا ندد القلم، وزلّ اللسان، فمن الله تعالى الغفران. وعلى قارئه أن يلتمس بدل العذر الأعذار.

وقبل الخوض في التفاصيل أعرض خطة البحث التي انتهجتها:

**المبحث الأول: تعاريف.**

المطلب الأول: تعريف الصرفة لغة.

المطلب الثاني: تعريف الصرفة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: مفهوم الصرفة على وجه الإجمال.

**المبحث الثاني: بين يدي الصرفة.**

المطلب الأول: الصرفة في كتابات الباحثين.

المطلب الثاني: نشأة فكرة الصرفة والمهد الذي ولدت فيه.

المطلب الثالث: تحقيق القول في أول من قال بالصرفة.

المطلب الرابع: دوافع القول بالصرفة.

**المبحث الثالث: المعتزلة والصرفة.**

المطلب الأول: النظام سيد الصرفة وحقيقة نسبتها إليه.

المطلب الثاني: مذهب المعتزلة والقول بالصرقة.

المطلب الثالث: الجاحظ والصرقة.

المطلب الرابع: الرماني والصرقة.

المطلب الخامس: القاضي عبد الجبار والصرقة.

المبحث الرابع: خروج الصرقة من عباءة المعتزلة ودخولها باب الإعجاز.

المطلب الأول: دخول الصرقة باب الإعجاز عند أهل السنة.

المطلب الثاني: دخول الصرقة باب الإعجاز عند الشيعة.

المبحث الخامس: الإعجاز بالصرقة.

المطلب الأول: الصرقة بحد ذاتها إعجاز.

المطلب الثاني: أوجه القول بالصرقة، وتعدد مفاهيمها.

المطلب الثالث: أدلة القول بالصرقة.

المطلب الرابع: أدلة نقض الصرقة.

المطلب الخامس: إيجابيات القول بالصرقة.

المطلب السادس: سلبيات القول بالصرقة.

الخاتمة

مسرّد المراجع

كتبه

عمار توفيق أحمد بدوي

## المبحث الأول

### تعريف

المطلب الأول: تعريف الصرفة لغة.

المطلب الثاني: تعريف الصرفة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: مفهوم الصرفة على وجه الإجمال.

## المطلب الأول

### تعريف الصرفة لغة

#### الصرفة لغة:

فِعْلُهَا الثَّلَاثِي صَرَفَ. "الصاد والراء والفاء معظم بابه يدلّ على رجوع الشيء، من ذلك صرفت القوم وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا"<sup>(١)</sup>.  
والصرف ردّ الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً فانصرف<sup>(٢)</sup>.  
والصرف: ردّ الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره<sup>(٣)</sup>.  
والصرفة: منزل من منازل القمر نجم واحد<sup>(٤)</sup>.  
قال أهل اللغة: سميت صرفة لانصراف البرد عند طلوعها<sup>(٥)</sup>.  
والصرفة: خرزة يؤخذ بها الرجال، وسميت بذلك كأنهم يصرفون بها القلب عن الذي يريد منها<sup>(٦)</sup>.  
والصرفة: ناب الدهر، لأنها تفتقر عن البرد أو عن الحر في الحالتين<sup>(٧)</sup>.

---

١- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة ٣/٣٤٢، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، بيروت.

٢- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ٩/١٨٩، دار صادر، بلا تاريخ، بيروت.

٣- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل، معجم مفردات القرآن، ٣١٣، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار لكتب العلمية، ط ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، بيروت.

٤- ابن فارس، ٣/٣٤٣، ابن منظور ٩/١٨٩.

٥- ابن فارس ٣/٣٤٣.

٦- المصدر السابق ٣/٣٤٣.

٧- ابن منظور ٩/١٨٩.

ما يفهم من التعريف: يفهم من التعريف أنّ الصرفة تعني فيما تعني التحويل من شيء إلى شيء، فإذا كانت الجهة المقصودة هي اليمين، فيصرف عنها إلى جهة غيرها، يساراً، أو غير ذلك.

وهذا هو الحد المشترك بين الصرفة لغة والصرفة اصطلاحاً كما سنرى لاحقاً.

## المطلب الثاني

### تعريف الصرفة اصطلاحاً

قبل أن أذكر تعريف الصرفة اصطلاحاً، لا بدّ لي من القول: إنّ هذا المصطلح تفاوت تعريفه ومفهومه عند القائلين به.

وسأبين هنا القدر المشترك بين القائلين بالصرفة في تعريفها الاصطلاحي، وأما تفاوت التعريف، فسيكون في مطلب آخر للأهمية.

أما القدر المشترك في التعريف الاصطلاحي، فهو:

"الصرفة: صرف الهمم عن المعارضة"<sup>(١)</sup>.

وهذا التعريف للرماني ت ٣٨٦ هـ، وللخطابي ت ٣٨٨ هـ، وهو من التعاريف الاصطلاحية المبكرة للصرفة، لذلك اخترته، ومع أنه مقتضب غير أنه يدل على الحدّ الذي قدمته أعلاه، بالإضافة إلى كونه لعلمين بارزين في باب الإعجاز القرآني.

تنبيه:

الذين توسعوا في التعريف الاصطلاحي للصرفة، أدخلوا عدة أقوال لأقطاب الصرفة في بعضها، وخلطوها خلطاً مشوهاً. هذا ما ينبغي التنبيه عليه في هذه المسألة الدقيقة، إذ الأمانة العلمية تقتضي الضبط. ولكي نستطيع في المطالب التالية التمييز بين أنظار الصرّفين وما انتقدوا فيه وما دافعوا عنه.

والمقصود بالمعارضة، معارضة القرآن الكريم والإتيان بمثله.

---

١- الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ١١٠، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤، القاهرة. الخطابي، حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ٢٢، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والدكتور. محمد زغلول، دار المعارف، ط ٤، القاهرة.

## المطلب الثالث

### مفهوم الصرفة على وجه الإجمال

أؤكد مرة أخرى على ضرورة التمييز بين التعاريف في الصرفة، لتباين وجهات النظر فيها، وفي هذا المطلب أوضح مفهوم الصرفة على وجه الإجمال.

قال يحيى بن حمزة العلوي ت ٧٤٩هـ:

"واعلم أنّ قول أهل الصرفة يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة، بما فيها من الإجمال وكثرة الاحتمال كما سنوضحه.

التفسير الأول: أن يريدوا بالصرفة أنّ الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع أنّ أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز، والاسترسال عن المراتب العالية، والتكليف بالانقياد والخضوع ومخالفة الأهواء.

التفسير الثاني: أن يريدوا بالصرفة أنّ الله تعالى سلبهم العلوم التي لا بدّ منها في الإتيان بما يماثل القرآن ويقاربه، ثم إنّ سلب العلوم يمكن تنزيهه على وجهين:

أحدهما: أن يقال: إنّ تلك العلوم كانت حاصلة لهم على حجة الاستمرار، لكنّ الله تعالى أزالها عن أفئدتهم ومحامها عنهم.

وثانيهما: أن يقال: إنّ تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أنّ الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديدها، مخافة أن تحصل المعارضة.

التفسير الثالث: أن يراد بالصرفة أنّ الله تعالى منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة، مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك. فلاجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة.

وحاصل الأمر في هذه المقالة، أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن إلا أن الله تعالى منعهم  
بما ذكرناه.<sup>(١)</sup>

وهذا الإجمال سأتبعه بتفصيل لاحق إن شاء الله. وبما أنني هنا ذكرت مفهوم الصرفة على  
وجه الإجمال على ما ذكره العلوي، فلعله من المناسب أن أنتقل إلى مطلب آخر، وهو الصرفة  
في كتابات الباحثين خاصة من المعاصرين.

---

<sup>١</sup> - العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣/٣٩٢، ٣٩١، دار  
الكتب الخديوية، طبعة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م. مصر.

## المبحث الثاني

### بين يديّ الصرفة

المطلب الأول: الصرفة في كتابات الباحثين.

المطلب الثاني: نشأة فكرة الصرفة والمهد الذي ولدت فيه.

المطلب الثالث: تحقيق القول في أول من قال بالصرفة.

المطلب الرابع: دوافع القول بالصرفة.

## المطلب الأول

### الصرفة في كتابات الباحثين

هذا المطلب محصور فيما اطّلت عليه من أبحاث مع التسليم بداية أن هناك من الأبحاث ما لم أطلع عليها.

وما أذكره في هذا المطلب، ليس كل ما كتب في الصرفة قلّ أو كثر، فلست بصدد عمل فهرسة كما صنع الأستاذ نعيم الحمصي في فكرة إعجاز القرآن. وإنما أولئك الباحثون الذين أخذت الصرفة محلاً في بحوثهم أو أضافوا إضافات جديدة في تطور بحث الصرفة.

**الأبحاث القديمة في الصرفة:**

رأيت عَلمين بارزين من فطاحل العلماء أعطوا الصرفة حقها بحثاً ودراسة.

أما الأول: فهو عبد الجبار الهمداني المعتزلي ت ٤١٥ هـ، وقد عمّر تسعين سنة، وذلك في مناقشاته الواسعة والقوية في كتابه "المغني" المجلد السادس عشر.

والثاني: عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ، في الرسالة الشافية، فقد كان بارعاً في استدلاله. وهذه الرسالة لها تحقيقان الأول: ضمن مجموع ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ولها تحقيق آخر للعلامة محمود شاكر. وضعها في آخر كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني.

ونستطيع أن نضيف إليهم الباقلاني ت ٤٠٣ هـ، في كتابه إعجاز القرآن، وكتابه نكت على الانتصار، والذي أسف على ترك باحثي الصرفة له وعدم وروده في قائمة مراجعهم.

وما سوى هؤلاء الأعلام، لم يخض غمار الصرفة خوفاً يستحق أن يفرد بالذكر.

**الأبحاث المعاصرة:**

البحث الأول: وأظنه الأول تاريخياً في الزمن المعاصر، وهو ما خطته ريشة أديب العربية مصطفى صادق الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" ومن جاء بعده من

المعاصرين استفاد منه ونقل عنه. وعلى وجه التحديد الكشف الذي أتى به الرافعي عن مقالة ابن حزم من أهل السنة بالصرفة وتوضيحه لصرفة الجاحظ ت ٢٥٦هـ.

البحث الثاني: ما كتبه العلامة محمد أبو زهرة في كتابه "المعجزة الكبرى للقرآن" والجديد فيه رده الصرفة على الفكر الهندي الوافد.

البحث الثالث: ما كتبه الدكتور محمد أبو موسى في كتابه "الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم" والحق أن هذا الكتاب أعجبنى فيه، بلاغة صاحبه الرائعة. وكتب في الصرفة خمسة وثلاثين صفحة. والجديد فيه أنه تميز بتحليلات قوية منها ما وافقته عليه ومنها ما خالفته لتجلي الحق في غيره. وسيظهر ذلك لاحقاً. وكشف أبو موسى عن الصرفة عند الرازي وابن كثير.

البحث الرابع: ما كتبه الدكتور أحمد سيد عمار في كتابه "نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم" والدكتور عمار هو تلميذ الدكتور أبو موسى. وكتب عن الصرفة خمساً وثلاثين صفحة. والكشف الجديد في دراسته الصرفة عند أهل السنة، فذكر من القائلين بالصرفة: ابن كثير والرازي والجويني والغزالي والماوردي... ولي مع الكتاب وقفات. وهذا ما سنذكره لاحقاً.

البحث الخامس: ما كتبه الدكتور عبد العزيز عرفة في كتابه "قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية" ولا جديد في كتابه، سوى أنه أدار النقاش حول نسبة الصرفة للنظام والجاحظ.

وتتفق الأبحاث الخمسة السابقة في محاولة دفع الصرفة عن الجاحظ، بطريقة تتناسب مع مقامه الأدبي، لصيته البلاغي في العربية.

وفي تقديري المتواضع أن هذه الأبحاث الخمسة هي التي يمكن أن يشار إليها بالبنان في الدراسات المعاصرة حول الصرفة على ما وصل إليه علمي المتواضع.

ولا يخلو الأمر من لمحة هنا أو هناك إلى مبحث الصرفة في كتب علوم القرآن والإعجاز.

## المطلب الثاني

### نشأة فكرة الصرفة والمهد الذي ولدت فيه

العصر الذي نشأت فيه فكرة الصرفة، كان عصرًا غزت فيه الفلسفة اليونانية والهندية، الساحة الثقافية الإسلامية، وكانت حركة الترجمة للثقافة الوافدة على قدم وساق، ولو كانت الطباعة متيسرة لتحركت عجالاتها بلا توقف.

ومن آثار تلك الحقبة التاريخية نشوء علم الكلام، الذي كان مدار بحث وخلاف بين أقطاب الفكر الإسلامي وفحوله، ما بين معارضين يناصبونه الخصام، وبين متلقفين لأصوله وفروعه، متخذين له منهجاً يحبون فيه ويكرهون.

وصبغت مباحث العلوم الإسلامية بصبغة علم الكلام. وسواء ارتضينا تلك الصبغة أم نقمنا عليها فهي سمة من سمات ذلك العصر العباسي في حينه.

ومما يؤسف له في ذلك الوقت أن الخلافات المذهبية الفكرية كان السيف والنطع فيها حاسمين في فصل الخطاب، وليست الحجّة التي تقرع الحجّة. ففتن العلماء بقاء السجان وظلمة السجن، وتصدّر زعامة المعارضة وخفق لوائها بيده الإمام المبجل أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة.

في هذه الأجواء العاصفة بالخلاف والجدل بين الفكر الوافد والأصالة المتجذرة في الواقع الإسلامي، بين تلك التيارات المتصارعة نشأت فكرة الصرفة، فهي وليدة غريب حاول أصحابها تلقيح الثقافة الإسلامية بها، وانتقوا أطيّب وأشرف ما في التراث الإسلامي وهو الإعجاز القرآني.

ولأكون دقيقاً في كلامي، أقول: هذا في بداية فكرة الصرفة ونشأتها.

يقول الشيخ أبو زهرة: "إن بعض المتفلسفين من علماء المسلمين اطلعوا على أقوال البراهمة في كتابهم "الفيدا"<sup>(١)</sup> وهو الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم، ويقول جمهور علمائهم: إنَّ البشر- يعجزون عن أن يأتوا بمثلهما، لأنه "براهما"<sup>(٢)</sup> صرفهم عن أن يأتوا بمثلهما. يقول في ذلك أبو الريحان البيروني ت ٤٣٠هـ في كتابه: "ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ما نصه: "إنَّ خاصتهم يقولون: إنَّ في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها، ولكنهم ممنوعون في ذلك احتراماً لها". ولم يبين البيروني وجه المنع أهو منع تكليفي يسبقه الإيذان بهذه الكتب، وتكون دلائل بوجوب الإيمان من نواح أخرى، أم هو تكويني بمعنى أن "برهما" صرفهم بمقتضى التكوين عن أن يأتوا بمثلهما، والأخير هو الظاهر لأنه هو الذي يتفق مع قول جمهور علمائهم، وما اشتهروا به من القول بالصرفة نبع في واديهم."<sup>(٣)</sup>

وما يؤكد مقولة أبي زهرة على وجه الإجمال، ما اشتهر به النظام باطلاعه الواسع على كتب الفلاسفة ومطالعتها. ما قاله الشهرستاني ت ٥٤٨هـ: "طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة."<sup>(٤)</sup> وقال البغدادي ت ٤٢٩هـ: "وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات"<sup>(٥)</sup>.

---

١- الكتب المقدسة عند البراهمة خمسة كتب والفيدا أحدها. ينظر وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ١٥٩/٢، دار المعرفة، ط ١٩٧١، ٣، بيروت.

٢- البراهمة نسبت إلى "براهما" يقولون: "هو اسم الله جل جلاله، وفي اللغة السنسكريتية الهندية، لا كما يظنه فولتير اسم مؤسس ديانة البراهمة." وجدي، ١٥٥/٢.

٣- أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، ٧٩، دار الفكر العربي.

٤- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ١/٥٣، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، بيروت.

٥- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق ١٣١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دارا المعرفة، بلا تاريخ، بيروت.

ووافق الشيخ أبا زهرة في مقولته كل من الدكتور بدران أبو العينين<sup>(١)</sup>، والدكتور مصطفى مسلم<sup>(٢)</sup>.

واعترض الدكتور محمد أبو موسى على أبي زهرة بأنّ "الفيدا" كانت محل سخرية العقل الإسلامي، واستهجن أن يرمى النظام بهذه التهمة<sup>(٣)</sup>.

كما اعترض كذلك الدكتور صلاح رسلان، ولم يوافق هذا التحليل، فقال: "ونحن لا نوافق على مثل هذا الرأي الذي يذهب إلى القول بتأثر بعض علماء المسلمين في قولهم بالصرفة بمؤثرات أجنبية"<sup>(٤)</sup>.

ومخالفة رسلان، سببها أنه يعد الصرّفة وجهاً من وجوه الإعجاز، قال: "إذ المعلوم أنّ الصرّفة هي وجه من وجوه إعجاز القرآن"<sup>(٥)</sup>.

ونحنى هذا المنحى الرافعي، فقال: "ثم لما نجمت آراء المعتزلة بعد أن أقبل جماعة من شياطينها على دراسة كتب الفلسفة مما وقع إليهم عن اليونان وغيرهم، نبغت لهم شؤون أخرى من الكلام، فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها صرفاً وبين الدين على كونه يقيناً محضاً، وتغلغلوا في ذلك، حتى خالف بعضهم بعضاً بمقدار ما يختلفون في الذكاء وبعد النظر...، واختلفت آراؤهم في وجه إعجاز القرآن اختلافاً يقوم بعضه على بعض"<sup>(٦)</sup>.

---

١- بدران، بدران أبو العينين، دراسات حول القرآن ٥١، مؤسسة شباب الجامعة، بلا تاريخ، مصر.

٢- مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن ٥٨، دار القلم، ط ١٤٢٠، ٢هـ/١٩٨٩ م. بيروت.

٣- أبو موسى، محمد محمد، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ٣٥٩، ٣٥٨، مكتبة وهبة، ط ١٤٠٥، ١هـ/١٩٨٤ م، مصر.

٤- رسلان، صلاح الدين بسيوني، القرآن الحكيم رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم، ٣٣٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بلا تاريخ، مصر.

٥- المصدر السابق، ٣٣٣.

٦- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ١٤٤، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ، بيروت.

والقول عندي: النظام لا يبرأ من تهمة التأثر بالفلسفة الوافدة في عصره، وإن كان رأساً من رؤوس ذلك العصر، وعمدة منظريه.  
يتضح لنا مما سبق أنّ الصرفة تكونت في رحم الفلسفة الهندية، وولدت على فراش المعتزلة في بلاد المسلمين.

---

## المطلب الثالث

### تحقيق القول في أول من قال بالصرفة

تعددت آراء الباحثين في أول من قال بالصرفة، ونسبوها إلى أكثر من واحد من أهل العلم.

وانفقت كلمة الباحثين على أن أول من قال بالصرفة من المعتزلة، واختلفوا في تحديد اسمه.

وأظن أن سبب الاختلاف في نسبة الصرفة من جهة الأولية يعود إلى:

١. محاولة التفريق بين الشيخ والتلميذ، وأن التلميذ أخذ عن شيخه، وقلده لا محالة، فإذا قال التلميذ الفكرة، يعني أنه أخذها عن شيخه. وهذا غير مطرد.

٢. بيئة الاعتزال وأفكار المعتزلة فيها ما يحتمل القول بالصرفة، خاصة مسألة القدرة، وما نبع عنها من شطط في الفكرة. فألحقت الصرفة بكثير من المعتزلة ممن لم يقولوا بها.

٣. المعاصرة بين شيخ المعتزلة والمتهمين بالصرفة.

ومهما يكن من أمر سبب الخلاف فإنني أجمل أقوال الباحثين في أول قائل بالصرفة بالتالي:

القول الأول: أول من قال بها: واصل بن عطاء ت ١٣١ هـ<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أبو موسى عيسى بن صبيح الملقب بالمدارات ت ٢٢٦ هـ<sup>(٢)</sup>.

وكان يلقب براهب المعتزلة<sup>(٣)</sup>.

القول الثالث: أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، أحد رؤوس المعتزلة ت ٢٢٤ هـ<sup>(٤)</sup>.

---

١- عامر، فتحي أحمد، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ٢٧، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

٢- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن ٨١، دار عمار، ط ١٣١٤، ٣ هـ/ ١٩٩٢، عمان. المرسي، كمال الدين عبد الغني، فواصل الآيات القرآنية، ٢١٨. ويقال: المزدار أيضاً.

٣- الشهرستاني، ١/ ٦٩.

## القول الرابع: الجعد بن درهم ت ١٢٤هـ<sup>(٢)</sup>.

- 
- ١- الخطيب، عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، ٣٦٤، دار المعرفة، ط ١٣٩٥، ٢هـ/١٩٧٥ م. بيروت. عمار، أحمد سيد، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي ٤٤، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.
- ٢- عرفة، عبد العزيز عبد المعطي، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ١٤٨، عالم الكتب، ط ١٤١٥، ٢هـ/١٩٨٥ م، بيروت.

## تعليق على الأقوال السابقة:

لا يستطيع الباحث أن يمر على هذه الأقوال المختلفة، دون أن يحقق القول فيها ويبين الأصوب منها، فالآثار الذي عكستها الصرفة سلباً في نظر خصومها أو إيجاباً في نظر قائلها تستدعي بيان أول من قال بها.

لم أعر على نص يثبت أنّ واصل بن عطاء ت ١٣١ هـ، قد قال بالصرفة، ولم يبين لنا الدكتور عامر من أين استقى معلومته، فاقضى التنويه عليه. وهذا الذي أدعيه لم أجد باحثاً قديماً ولا حديثاً نسب الصرفة لواصل.

وأما نسبة الصرفة للنظام فهي نسبة شائعة في كتب الأقدمين، وتناقلها المحدثون، وسنأتي على تحقيقها، وقضية الأولوية في ابتداء هذه البدعة ليست جازمة بين قطبي الاعتزال النظام والمردار، عند بعض الباحثين. والمشهور في الأولوية هو النظام.

ويعلق الدكتور الخيون، بقوله: " في إعجاز القرآن اللغوي يبدو المرادار قد تبع مقالة إبراهيم النظام، أو العكس هو الصحيح، لأنهما متعاصران، وربما كان للمرادار السبق في ذلك." <sup>(١)</sup> وعلق الشيخ أبو زهرة على المسألة فقال عن النظام: " وقول إنه أول من جهر به، ولا أقول إنه أول من فكر فيه، أول من ابتدأ القول به، لأنّ الأفكار لا يعرف ابتداءً لها، وهي تتكون في خلاياها، بل لا تعرف إلا بعد أن تظهر ويجاهر بها" <sup>(٢)</sup>.

وأما القول الرابع نقله الدكتور عرفة عن الرافعي وهو نقل يجانب الصواب ويشير الاستغراب، فالدكتور عرفة يقول ما هو نصه: " والأستاذ الرافعي يذكر أول من قال بهذا القول الجعد بن درهم" <sup>(٣)</sup>.

وعندما ذهبنا إلى كتاب الرافعي، لم نجد هذه الأولوية المدعاة للجعد بن درهم، وما وجدناه عند الرافعي قوله: " إنّ الذين يقولون إنّ القرآن غير معجز لا بقوة القدر ولا بضعف

١ - الخيون، رشيد، معتزلة البصرة وبغداد، ٢٥٥، دار الحكمة، ط ١٩٩٧، ١، لندن.

القدرة، وقد ذكرنا من أمرهم طرفاً، وأشهدهم بعد الجعد بن درهم عيسى بن صبيح المزدار وأصحابه المزدارية"<sup>(٣)</sup>.

فالرافعي يذكر اشد الدعاة لفكرة نفي الإعجاز بعد الجعد، ولم يذكر أولية القول بالصرفة كما فهم الدكتور عرفة.

قال الشهرستاني في المردار: "وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن"<sup>(٤)</sup>.

وما نقله الباحثون المعاصرون عن الكتب القديمة ليس فيه ما يشير إلى الأولية، وإنما الإشارة صريحة إلى أقطاب الصرفة وقطبها الأكبر النظام.

والجعد هذا، من أوائل القائلين بخلق القرآن، فإن كان هذا هو المقصود، فالقصد صحيح، وإلا ففي النسبة شك.

وأمانة البحث وجلالته تقتضي مني القول: "ما لاحظته في الكتب القديمة نسبة الصرفة صريحة للنظام، ولم أجد من نسب الصرفة للمردار أو الجعد أو واصل بصراحة ووضوح".

فالمردار، ينفي الإعجاز عن القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، ولا يرى وجهاً له، لا في الصرفة ولا في غيرها. وهي مقالة سوء قالها.

والمردار هذا حمل فكرة الجعد، لكن كونه عاصر النظام، والنظام قال بالصرفة، فألحقوه بها. هذا ما تحقق لدي.

وأزعم أن عبارات البغدادي مضطربة في "الفرق بين الفرق"، قال فيها: "وكان هذا المردار يزعم أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن فصاحة، وبما هو أفصح منه كما قال النظام"<sup>(٥)</sup>.

---

١- أبو زهرة، ٨١.

٢- عرفة، ١٤٨.

٣- الرافعي، ١٥٠.

٤- الشهرستاني، ١/٦٩.

٥- البغدادي، الفرق بين الفرق ١٦٥.

لكن التحقيق العلمي أزعج أنه يؤيد ادعائي، فعبارة البغدادي لا تنص لا من قريب ولا من بعيد على الصرفة.

فالمشترك بين النظام والمردار أن الناس قادرون على الإتيان بمثل القرآن، والمختلف بينهما، أن النظام قال ذلك بسبب الصرفة وذلك عزاه لدعوى كاذبة هي نفي الإعجاز كلياً عن القرآن الكريم، بينما قال النظام بالإعجاز في أخبار الغيب في القرآن الكريم، وهذا ما لم يقله المرادار. وخلاصة القول: النظام هو أول من قال بالصرفة. وسنأتي على مطلب آخر في تحقيق نسبتها إليه، ومناقشة الذين حاولوا محو تهمة الصرفة من لائحة اتهامه. هذا إن كانت الصرفة تهمة.

## المطلب الرابع

### دوافع وأسباب القول بالصرفة

تحدث فريق من الباحثين في القديم والحديث عن دوافع القول بالصرفة، فمنهم من جعل الدافع لقولها بواعث خيرة تهدف إلى الدفاع عن القرآن. ومنهم من شكك في نوايا الصرفيين، وأنهم ابتدعوا مذهب الصرفة لهدم رسالة الإسلام، والطعن في القرآن الكريم. وسأستعرض في هذا المطلب تلك الآراء كما قالها أصحابها، ونترك نوايا العباد لرب العباد، يفصل بينها في يوم الفصل، والمعاد.

الفريق الأول: المشككون والمتهمون نوايا الصرفيين بأنهم هدفوا إلى هدم الإسلام، وإنكار النبوة، وإنكار البلاغة القرآنية :

وعلى رأس هذا الفريق البغدادي ت ٤٢٩هـ، فاتهم النظام بنيته، وأنه " أنكر إعجاز القرآن في نظمه، " ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه السلام إلى إنكار نوبته"<sup>(١)</sup>. وقال في موضع آخر: "ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدّى العرب بأن يعارضوه بمثله"<sup>(٢)</sup>.

وتبعه من المعاصرين أبو زهرة، فقال: "ونرى من هذا أن القائلين بهذا القول يشككون في رتبة القرآن وكونه من عند الله من غير أن يقدموا دليلاً"<sup>(٣)</sup>.

وقال: " بل إنَّ القصد الذي يبدو من لحن القول والدعوى هو التشكيك المجرد في علو البلاغة القرآنية"<sup>(٤)</sup>.

١- المصدر السابق، ١٣٢.

٢- المصدر السابق، ١٤٣.

٣- أبو زهرة، ٨٠.

٤- المصدر السابق، ٨٠.

وقال: "ومن وراء ذلك التشكيك ما يريدون من توهين، ثم دعاوى بأنه من صنع محمد عليه السلام، وهكذا يسير الخط من احتمالات تنافي الواقع إلى توهين لأمر القرآن، إلى ادعاء أنه ليس من عند الله" (١)

الفريق الثاني: عدوا القول بالصرفة من باب الدفاع عن القرآن الكريم:

وهذا الفريق حُسن ظنه في نوايا الصرفيين، والتمسوا لهم العذر بحسن النية، ولم يطلقوا سهام الشك والريبة، كما فعل الفريق الأول.

وعلى رأس هؤلاء إمام الحرمين الجويني، قال: "ومن هدي لهذا المسلك: فقد رشد إلى الحق المنير، وانعكس كل مطعن ذكره الطاعنون عضداً وتأييداً، فإنهم تارة يدعون سقوط القرآن عن رتبة الجزالة وولوجه في الركيك، وتارة يسلمون شرف الجزالة. ويدعون أنه غير خارق للعادة. وكيف تصرف أسئلتهم فصرف الله الخلق عن الإتيان بمثله أوقع وأبجع." (٢)

ومن هؤلاء النفر الدكتور أبو موسى، قال عن النظام: "ويمكن القول إنه قد رمى بهذه المقالة في وجوه أهل الزيغ والزيغ، كانوا يثيرون ما ينقض حجة النبوة، ولم يشأ أن يجادلهم في أمر النظم." (٣)

وقال: "أراد الشيخ أن يسد باب الشبهة" (٤).

وقال: "وقد رأينا من علمائنا من يضم الرأي من هذا الباب إلى الرأي لا ينضم إليه وذلك لحسم الشبهة وقطع سبيل التطرق بالتهمة" (٥).

١- المصدر السابق، ٨٠.

٢- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ٧٣، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، ط ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، مصر. وسميت بالعقيدة النظامية نسبة إلى الوزير نظام الملك كان وزيراً للملك ألب أرسلان.

٣- أبو موسى، ٣٥٧.

٤- المصدر السابق، ٣٥٧.

الفريق الثالث: القول بالصرفة سببه عدم معرفة وجه التحدي.

قال الجرجاني ت ٤٧١ هـ: "واعلم أنّ الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة، أن يكون الذي ابتداء القول بها، ابتداءه، على توهم أنّ التحدي كان إلى أن يعبر عن أنفس معاني القرآن، بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أطلق لهم وخيروا في المعاني كلها"<sup>(٢)</sup>.  
فهذا قول متزن، غاية الاتزان، ورزين بالخلق الجمّ، وهو من عالم خاصم الصرفة، وهتف ضدها في كل واد. ونبرته نبرة الواثق من ردوده التي ستأتي لاحقاً، ولم يكن بحاجة للاستعانة بمفاتيح النار، حتى يلجم خصومه في الفكر والتحليل.

الفريق الرابع: القول بالصرفة إعجاب بغرابتها لا بأصالتها.

وهذا قول قاله الشيخ أبو زهرة: "إن المتفلسفين ربما اتجهوا إلى الفكرة، لا لأصالتها، ولكن لغرابتها، ولا لأنها لا بدّ منها لتحقيق الحق وإبطال الباطل، ولكن للترف العقلي لا يفرقون بين أمر يتصل بالإيمان، وأمر لا صلة له بالإيمان"<sup>(٣)</sup>.

الفريق الخامس: القول بالصرفة، لأنّ دلالة المعجزة "النبوة" أهم من المعجزة "القرآن":  
وهذا رأي قالته بنت الشاطيء: "ولعلهم لم ينظروا في ذلك إلى المعجزة، وإنما نظروا إلى دلالتها على النبوة، فبصرف النظر عن المعجزة ذاتها، يكفي عجز البشر عنها لتكون الآية والبرهان"<sup>(٤)</sup>.

---

١- المصدر السابق، ٣٥٧.

٢- الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٤٦، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول، دار المعارف، ط ٤، القاهرة.

٣- أبو زهرة، ٧٨.

٤- بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، ٨٣، ٨٢، ط ٢، بلا تاريخ، دار المعارف، مصر.

## تعقيب على المواقف:

لم أفاجأ من موقف البغدادي من الصرفيين خاصة وأنّ فيهم النظام عدوه اللدود، ولكن المفاجأة لي كانت من موقف الشيخ أبي زهرة، وكأني به يريد أن يمسك بيد الصرّيين ويدخلهم جهنم واحداً تلو الآخر، حتى يشفي غليله منهم، فقد نسب لهم تهماً تخلد أذناهم في الجحيم أحقاباً. بسبب الصرفة، فكيف سيكون الموقف إذا علمنا لاحقاً أنّ نفراً كريماً، من علماء السنة قالوا بها، هل سيكبكون في نار الخلود.

وأما الادعاء، بأنّ أهل الصرفة قالوه من باب الترف العقلي، فهذا أستبعده، فالقائل ليس من نافلة القوم. والمسألة ليست في فرع من فروع الدين، بل هي في أصله، وعموده، وركنه، وأساسه.

والآراء المشككة في نوايا الصرفيين لا أجد لها مجالاً أو موضعاً لثبوت تلك التهم. فلو أخذنا كل كاتب بنواياه الخفية، لاتسعت التهم وما سلم منها برئ، فلنا ما في السطور، لا ما في الصدور.

وأما آراء الصرفيين فستكون محل نقاش قادم لبيان وجه الحقيقة.

## المبحث الثالث

### المعتزلة والصرفة

المطلب الأول: النظام سيد الصرفة وحقبة نسبتها إليه.

المطلب الثاني: مذهب المعتزلة والقول بالصرفة.

المطلب الثالث: الجاحظ والصرفة.

المطلب الرابع: الرماني والصرفة.

المطلب الخامس: القاضي عبد الجبار والصرفة.

## المطلب الأول

### النظام سيد الصرفة وحقيقة نسبتها إليه

مطلبي هذا لا يرمي إلى استقصاء شخصية النظام، أو وضعه في ميزان الجرح والتعديل، وإنما التعريف المجمل به، كونه المتهم الأول بالصرفة، وحامل لوائها، والأهم من ذلك حقيقة نسبة الصرفة إلى النظام.

فقد وجدت من الباحثين المعاصرين، من ينافح عن النظام ويبرئه من الصرفة، كما وجدت من ينتحل له الأعذار، ويحاول تأويل قوله بالصرفة.

فأريت أن أدلي بالدلاء مع الباحثين في تحقيق هذا الأمر، وتجلية هذه التهمة، أهى صائبة أم فيها نظر.

أما النظام: فهو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام. ت ٢٣١ هـ. سيد فكرة الصرفة وأبوها. كان الباحثون في النظام على طرفي نقيض، مادحوه أعلوا شأنه ومدحوا فكره وزانوا عقله، وخصومه وصلوا به إلى أسفل سافلين علماً وخلقا ومسلكاً، وعابوا فيه أشياء تهوي بصاحبها إلى دركات الجحيم، وتقعده فيها أحقاباً.

كان النظام يمتلك قدرة عقلية جمعت بين الفلسفة والعلم والأدب، جعلت منه فيلسوفاً في وقت كان الاعتزال يجبو نحو الفلسفة<sup>(١)</sup>.

واخترع مادحوه قصة يكذبها التاريخ، وهي أن أبا النظام أتى به إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ، فامتحنه، فلمح فيه علامات الذكاء وشهد له بالعلم، وقال له نحن

إلى بالتعلم منك أحوج<sup>(١)</sup>. وهذه القصة نقلها الناقلون عن "أمالي" الشريف المرتضى. وهي قصة ليست صحيحة، فالفراهيدي توفي قبل ولادة النظام بخمس سنين<sup>(٢)</sup>. وإن ضربنا الصنف عن هذه القصة المخترعة، والمتداولة في كتب الأدب والتاريخ، فهذا لا يعني أننا ننكر مقام النظام في الأدب والذكاء ولا شاعريته المتميزة. كما أننا لا نبحت اعتزاله، ولا شذوذ مسلكه المتهم فيه، فهذا ليس محل بحثنا، والذي يهمنا هو منزلته في عالم الأدب، والبلاغة العربية.

قال ابن النديم ت ٣٨٥هـ، عن النظام: "كان متكلماً شاعراً أديباً"<sup>(٣)</sup>. قال الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ: "كان مقدماً في العلم بالكلام، حسن الخاطر، شديد التدقيق والغوص على المعاني"<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي: "وله نظم رائع وترسل فائق وتصانيف جمة"<sup>(٥)</sup>. وقال الخطيب البغدادي: "وكان من فرسان أهل النظر والكلام، على مذهب المعتزلة، وله شعر رقيق المعاني، على طريقة المتكلمين"<sup>(٦)</sup>. ونقل ابن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ، عن كتاب اللفظ والإصلاح "إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة مع علو طبقتة في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة"<sup>(٧)</sup>.

---

١- ينظر: المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى- غرر الفوائد ودر القلائد ١/١٨٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٣٨٧، ٢هـ/١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢- خفاجي، محمد عبد المنعم، أبو عثمان الجاحظ، ١٤١، ط ١٩٧٣، ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣- ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، ٢ من تكملة الفهرست، دار المعرفة، بلا تاريخ، بيروت.

٤- المرتضى، ١/١٨٧.

٥- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ، بيروت.

٦- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد ٦/٩٧، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ، بيروت.

وامتدح ابن حزم شعره فقال: "كثيراً ما يعرف الشعراء وأهل الكلام هذا المعنى في أشعارهم، فيخاطبون المرئي في الظاهر خطاب المعقول الباطن، وهو المستفيض في شعر النظام إبراهيم بن سيار وغيره من المتكلمين"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ: "كان شاعراً أديباً بليغاً"<sup>(٣)</sup>.

وقال الرافعي في النظام: "كان على بلاغة ولسن وحسن تصرف"<sup>(٤)</sup>.

وقال الدكتور أبو موسى في النظام: "لم يدفع أحد أنه كان من بلغاء زمانه حسن المقالة رطب اللسان سريع الخاطر دقيق النظر جيد القياس"<sup>(٥)</sup>.

وأعرضت عن مقولة الجاحظ بالنظام مدحاً "أنه في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن كان ذلك صحيحاً فالنظام من أولئك" وإعراضي عن كلمة الجاحظ كونه أحد تلامذة النظام.

أما خصوم النظام وذامّوه، فهم عدد لا يحصى، منهم خاصمه لمذهبه المعتزلي، ومنهم لسوء مقالته، ومنهم من لم ير له محاسن قط، لا في رأي ولا في بلاغة قول، فوصفه علي الجرجاني "بشيطان القدرية"<sup>(٦)</sup>.

ونقل الرافعي هذا الوصف عنه، فقال: "شيطان المتكلمين"<sup>(٧)</sup> وتبعه فيه الدكتور المحمدي<sup>(٨)</sup>.

---

١- ابن حزم، علي بن أحمد، طوق الحمامة في الألفة والألف، ١٣٠، تحقق حسن كامل الصيرفي، وإبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، بلا تاريخ، مصر.

٢- المصدر السابق، ١٠.

٣- ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، ١/٦٧، ط ١٤٠٦، ٣/١٩٨٦هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٤- الرافعي، ١٤٥.

٥- أبو موسى، ٣٥٦.

٦- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ٣١١، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٥هـ، بيروت.

٧- الرافعي، ١٤٤.

وحطَّ عبد القاهر البغدادي من شأن النظام حطًّا، فلم يبق له ولم يذر، قال: "والمعتزلة يموهون على الأغمار بدينه، ويوهمون أنه كان نظاماً للكلام المثور والشعر الموزون، وإنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولأجل ذلك قيل له النظام"<sup>(١)</sup>.

وتفوح رائحة كراهية المذهب في قول البغدادي، وإلا إذا كان النظام نكرة على قارعة الطريق فلماذا يهتم العلماء بقوله، والبلغاء بشعره؟

وما من عالم بالبلاغة العربية أو باحث في الإعجاز القرآني إلا وعرج على مقالة النظام، فلو كان كما يقول البغدادي، فلماذا ذكره هو نفسه؟

وفي هذا البحث ما يهمني هو إثبات المقالة ومناقشتها بعد إثبات نسبتها. كما قال علماءنا: "ثبَّت النص ثم انقش".

وأبو موسى باحث بليغ من المتحمسين للنظام حاول أن يخلي ساحته من الصرفة، وأتى بكل وسيلة تؤول الصرفة عنده.

قال في النظام: "ومثل هذا البليغ المتمكن الذي عاش في القرن الثاني والعربية كما قلنا فيه باقية حرة خالصة من أفواه الأعراب لا يغيب عنه هذا الفرق الفائق بين القرآن وكلام الناس وإنما رمى بهذا القول في حومة الجدل ولجاجة الخصومة ولم يقله عن دراسة ومراجعة وتام اقتناع.

ويؤنس هذا الذي أقول إنه ذكر مع الصرفة الأخبار بالغيب أي أن القرآن معجز عنده بأمرين، لا بالصرفة فحسب، والأخبار بالغيب، جزء من المعاني المدلول عليها بالقرآن، فكيف يتلاءم هذا القول مع القول بأنه لولا الصرفة لجاءوا بمثله والأخبار بالغيب أمر إلهي لا طاقة للبشر به. وبهذا تظهر الغمزة في موقف أبي إسحاق"<sup>(٢)</sup>.

---

١- الحناوي، المحمدي عبد العزيز، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، دار الطباعة المحمدية، ط ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مصر.

٢- البغدادي، الفرق، ١٣١.

٣- أبو موسى، ٣٥٦.

ويتعذر أبو موسى للنظام بكل وسيلة وحيلة ليبعد عنه الصرفة، أو يؤولها فيقول: "ويمكن أن يقال أنه رمى بهذه المقالة في وجوه أهل الزيغ الذين كانوا يثيرون ما ينقض حجة النبوة، ولم يشأ أن يجادلهم في أمر النظم، لأنه يعلم أن النزاع فيه لا يدفع إلا عند من كان ذا طبع إذا نبّه انتبه"<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو موسى: "أراد الشيخ أن يسد باب التهمة وان يحسم الأمر مرة واحدة"<sup>(٢)</sup>. واستطرادات أبي موسى كثيرة في الدفاع عن النظام وتأويل صرفته لدرجة أن قال: "والمهم أن أبا إسحاق قائل بأنّ في القرآن شيئاً لا تناله قدرات الناس وهو الإخبار بالغيب وأنه لم يكن مقتنعاً بأنّ الصرفة وحدها هي وجه الإعجاز، وجمعه بين الأمرين يوشك أن يوقعه في تناقض"<sup>(٣)</sup>.

وللرافعي رأي صائب في مقولة النظام، قال: "جاء رأيه الذي علمت في مذهب الصرفة دون قدره بل دون علمه، بل دون لسانه، وهو عندنا لو قال به صبية المكاتب وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه، لكان مذهبا من تخاليطهم في بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليوهموا أنهم قد عرفوا"<sup>(٤)</sup>.

والذين شككوا بنسبة الصرفة للنظام، اعتمدوا على أنها نقول ساقها الأشاعرة في مخاصمة المعتزلة. والمتهم الرئيسي في نشر تهمة الصرفة بالنظام هو ابن الراوندي<sup>(٥)</sup>. وابن الراوندي ت ٢٩٨هـ، كان يتقلب في الفرق تقليباً، فقبل عنه "كان معتزلياً ثم تزندق، ولا يستقر على مذهب ونحلة.."<sup>(٦)</sup>. وقد ترك المعتزلة، وتحول إلى التشيع، وقرأت في كتبهم يترضون عنه، ويترحمون عليه، كما هو عند المجلسي.

١- المصدر السابق، ٣٥٧.

٢- المصدر السابق، ٣٥٧.

٣- المصدر السابق، ٣٥٧.

٤- الرافعي، ١٤٥.

٥- عرفة، ١٤٣.

واتهم الدكتور منير سلطان، الأشاعرة بتحريف رأي النظام في الصرفة، فقال: "وأذهب إلى أن الرأي الذي يتناقله الأشاعرة عنه فيه من التحريف ما فيه"<sup>(١)</sup>.  
وحاول الدكتور عرفة، أن يبعد تهمة الصرفة عن النظام بالاستدلال بكلمة تلميذه الجاحظ، من قوله: "ولا أصحاب النظام" فيقول: العبارة التي بين أيدينا تنص صراحة على أصحاب النظام ولم تذكر النظام صراحة"<sup>(٢)</sup>.  
وهذا دفاع بائس، لا يرد التهمة، ويبحث في خبايا الألفاظ لا طائل وراءه.  
وخلاصة القول عندي: النظام قال بالصرفة، وهي ثابتة عليه، فقد نقلها عنه معتزلة، وغير معتزلة، لكنني أنبه بل أؤكد، أن صرفة النظام زيد عليها، وحملت أحمالاً لا طاقة لها به، وهذا ما سنراه لاحقاً.

---

١- الذهبي، ١٤/٦١، ٦٠.

٢- سلطان، منير، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ٢٠٢، منشأة المعارف، بلا تاريخ، مصر.

٣- عرفة، ١٤٥.

## المطلب الثاني

### مذهب المعتزلة والقول بالصرفة

رمي المعتزلة جميعاً عن قوس واحدة بالصرفة، هو رمي غير صائب، وإلصاق الصرفة بجموع المعتزلة الذين تعددت طرقهم يحتاج إلى تبسط ونظر، فرأيت من الباحثين من ألصق الصرفة بكل معتزلي، وبكل من قال بخلق القرآن. فأسندوا الصرفة إلى كل من انتسب إلى الاعتزال فوجدناهم يختلفون في أولية قائل بها. والمعتزلة جماعة تعددت طوائفهم، فعد منها البغدادي ت ٤٢٩هـ، اثنتين وعشرين طائفة<sup>(١)</sup>.

وذكر الشهرستاني ت ٥٨٤هـ، اثنتي عشرة فرقة<sup>(٢)</sup>. والذي شاع في النقل وكتب الفرق والإعجاز القرآني أن شيخاً جهيداً من شيوخ المعتزلة هو إبراهيم بن سيار النظام ت ٢٣١هـ، هو سيد هذه الفكرة العجيبة في الإعجاز. والمسائل صغرت أم كبرت إذا قالها الكبار تؤخذ عنهم كبيرة، فاستطال ذكر الصرفة لطول باع قائلها في العلم وسمو مكانته في شيوخ المعتزلة. ومما يؤكد أن الصرفة تصدرها النظام من المعتزلة وتبعه قليل منهم، عدُّ الشهرستاني، مقولة النظام في الصرفة من المسائل التي انفرد بها عن أصحابه<sup>(٣)</sup>. وبما أنه انفرد عن أصحابه إذن هي مسألة قالها ولم يقل بها كل أصحابه المعتزلة، ولا ينفي ذلك أن المعتزلة له تابعة في بعض آرائه.

---

١- البغدادي ٢٤.

٢- الشهرستاني ١/٥٣-٧٨.

٣- المصدر السابق ١/٥٤.

وقول الشهرستاني هذا أكد لديّ الفكرة التي تبدّت لي مسبقاً أن الصرّفة مذهب، لا يصح تعميمه على رجالات المعتزلة وشيوخهم.

قال الشهرستاني: "والمسألة التاسعة التي انفرد بها النظام عن أصحابه مقولة في إعجاز القرآن، إنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية ومن وجهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتى لو خلاهم كانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً"<sup>(١)</sup>.

ومن الغلوّ بمكان أن تعتبر الصرّفة أصلاً من أصول مذهب الاعتزال، ولذلك لا أتفق مع ما قاله الدكتور منير سلطان: "إن القول بالصرّفة نبع من المبدأ الثاني للمعتزلة، فالعدل الإلهي الذي منح حرية الإرادة للإنسان وإمكان القدرة ثم هياً للعقل أن يفكر ويجرب معارضة القرآن حتى إذا فشل اعترف بالعجز"<sup>(٢)</sup>.

والقاضي عبد الجبار المعتزلي، شارح الأصول الخمسة، تحدث عن القرآن الكريم تحت باب العدل الأصل الثاني للمعتزلة، ولم يتطرق في هذا الباب إلى الصرّفة، وتحدث عن اتصال القرآن بالعدل كونه من أفعال الله تعالى ونعيمه..<sup>(٣)</sup>.

فلو كانت الصرّفة مبدأ من مبادئ الاعتزال المجمع عليها، أو نابعة منها، لغدت صبغة تصبغ المعتزلة من أولهم إلى آخرهم.

وهذا ما لم يجده الباحث في فكر المعتزلة، فالقاضي عبد الجبار الهمداني ت ٤١٥ هـ، رأس المعتزلة في زمانه، وشارح أصولهم الخمسة.<sup>(٤)</sup> تحدث في شرح الأصول الخمسة عن إعجاز القرآن الكريم، وقرأت ما فيه من صفحة ٥٢٧-٥٩٥، فلم يتطرق في الصفحات المذكورة

١- المصدر السابق ١/٥٦، ٥٧.

٢- سلطان، ٢٠٢.

٣- ينظر: شرح الأصول الخمسة، ٥٢٧.

٤- الأصول الخمسة للمعتزلة هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إلى الصرفة لا بمدح ولا بقدرح. فلو كان للصرفة علاقة أو نبتت من تلك الأصول، لظهر في شرحها لكبير من كبراء المعتزلة.

ومن الأقوال التي تصب في قناة قولنا، ما ذكره الدكتور عصام الدين في بحثه المعمق عن المعتزلة، حيث ذكر المسائل المجمع عليها بين المعتزلة، ولم يذكر الصرفة فيها<sup>(١)</sup>. ولا ينفي ما ذكرناه، كون بعض شيوخ الاعتزال وافقوا النظام في قوله، أو من شايعه من تلاميذه في فكرته.

ويعدّ أبو الحسن الأشعري ت ٣٣٠هـ، أفضل من خبر المعتزلة وهجرهم، وعرف شيوخهم وتلاميذهم، وتركهم، ذكر موقف المعتزلة من الإعجاز فقال:

"واختلفوا في نظم القرآن هل هو معجز أم لا، على ثلاثة أقاويل:

١. فقالت المعتزلة إلا النظام وهشام الفوطي وعباد بن سليمان، تأليف القرآن ونظمه

معجز، محال وقوعه منهم، كاستحالة إحياء الموت منهم، وأنه علّم لرسول الله ﷺ.

٢. وقال النظام: الآية الأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف

والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أنّ الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما

فيهم.

٣. وقال هشام وعباد: لا نقول شيئاً من الأعراض يدل على سبحانه، ولا نقول أيضاً:

إنّ عرضاً يدل على نبوة النبي ﷺ ولم يجعل القرآن علماً للنبي ﷺ، وإعجاز القرآن

أعراض<sup>(٢)</sup>.

---

١- علي، عصام الدين محمد، المعتزلة فرسان الكلام، ٢٦، بلا تاريخ، منشأة المعارف، الإسكندرية. والكتاب سفر ضخّم جيد في فلسفة المعتزلة.

٢- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، ٢٩٦/١، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط ١٣٨٩، ٢هـ/١٩٦٩م.

وأما ما قاله البغدادي عن موقف النظام والمعتزلة من الصرّفة، فهو قول غير دقيق، ولم يصحبه التوفيق. قال: "وزعم مع أكثر القدرية<sup>(١)</sup> أنّ الناس قادرون على حمل القرآن وعلى ما هو أبلغ منه في الفصاحة والنظم"<sup>(٢)</sup>.

فهذا قول لا يعتر به، فالبغدادي خاصم المعتزلة في كل شيء، ورأى القبيح في قبحهم وما فيه وجه حسن لهم. والأشعري أسبق منه وأعرف، فقد عرك القوم وعایش مقالتهم.

كما أنّ البغدادي ناقض نفسه، فذكر غير ذلك في كتابه الفرق، قال: "وإنما تبعه شذمة من القدرية، كالأسواري ت ٢٤٠هـ، والجاحظ وفضل الحدّثي والجاحظ، مع مخالفة كل واحد منهم له في بعض ضلالاته وإعجاب هؤلاء النفر اليسير به"<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي ٦٧١هـ، عن قول الصرّفة: "قاله النظام وبعض القدرية"<sup>(٤)</sup>.

قال المجلسي: "ما ذكره أكثر المعتزلة وهو أنّ تأليف القرآن ونظمه معجزان، لا أنّ الله أعجز عنها بمنع خلقه في العباد"<sup>(٥)</sup>.

فهم عدد قليل في جمع غفير من المعتزلة.

وكون النظام قال بالصرّفة لا يعني أنّ المعتزلة كلهم صرفيون، وإذا قال الشريّف المرتضى- بالصرّفة لا يعني أنّ الشيعة كلهم صرفيون، وإذا قال بعض أهل السنة بها فلا يعني أنّ السنة كلهم صرفيون.

١- لقب من ألقاب المعتزلة.

٢- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، ١٨٤، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠١/٣هـ، ١٩٨١م، بيروت.

٣- البغدادي، الفرق، ١٣٢.

٤- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٧٥/١، دار الفكر، ط ١٤٢٠، ١٩٩٩م، بيروت.

٥- المجلسي، محمد باقر، مجمع الأنوار، ١٢٨/٨٩، ١٢٧، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بلا تاريخ، بيروت. وهذا الجزء خاص بالقرآن الكريم.

ومما يؤكد أن قول النظام في الصرفة لا يصبغ مذهب المعتزلة، هو ما كان عليه الحال بين شيوخ المعتزلة من نزاع وخلاف، وصل حدّ التكفير لبعضهم. وقد بلغ الأمر أن بصق أبو الهذيل العلاف ت ٢٣٠هـ، في وجه النظام<sup>(١)</sup>. والعلاف شيخ النظام وخاله. وكان العلاف أستاذ الخليفة العباسي المأمون<sup>(٢)</sup>. وقد اشترك عدد كبير من المعتزلة في تكفير النظام<sup>(٣)</sup>. وأما تكفير أهل السنة له، فحدث ولا حرج، وهم عدد لا يحصى، قال البغدادي: "وأما ما كتبه أهل السنة والجماعة في تكفيره فإله يحصيها"<sup>(٤)</sup>. ثم فرط البغدادي عقد التكفير فقال: "وجميع فرق الأمة من فريقَي الرأي والحديث مع الخوارج والشيعية والنجارية، وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام"<sup>(٥)</sup>. ومهما تعددت مشارب مكفري النظام، فهذا لا يقدر في علو كعبه في العربية ومنزلته في علم الكلام، ولو كان على ضلالة. والخلاصة: الصرفة قول لرأس من رؤوس المعتزلة، وتبعه فيه بعضهم، وليس مذهباً فيها، ولا أساساً من أسس عقيدتهم، ولا أصلاً من أصول مذهبهم.

---

١- الخيون، ١٢٧.

٢- علي، ٣٤.

٣- البغدادي، الفرق، ١٣٣، ١٣٢. ويرى فريق آخر من الباحثين أن العلاقات بين شيوخ المعتزلة كانت على ما يرام. ينظر: كتاب المعتزلة فرسان علم الكلام. ص ٣٤ للدكتور عصام الدين محمد علي.

٤- البغدادي، الفرق، ١٣٣.

٥- المصدر السابق، ١٣٢.

المطلب الثالث

الجاحظ والصرفة

الجاحظ، ت ٢٥٦هـ أديب معتزلي المذهب، وتلميذ النظام، وله في العربية باع طويل،  
تفنن البلاغيون والأدباء في مدحه وبيان منزلته في العربية، فمنهم قال فيه: "شيخ العربية"  
ومنهم قال: "إمام البيان العربي" و "مؤسس البيان العربي" و "أستاذ الأساتيد في نقد  
الكلام" و "لسان المعتزلة" و "شيخ الكتاب المسلمين" وما سوى ذلك.  
ولما وصل الحديث إلى إعجاز القرآن الكريم، وقول الجاحظ بالصرفة، وقف أدباء العربية  
حيارى أمام هذا القول لبلوغ ضليح كالجاحظ، فتبارى القوم في تحليل مقالته، وتأويل قوله.  
وأجد نفسي منهمكاً مع أولئك القوم كوني محباً لأدب الجاحظ، ومن بواكير ما قرأت من  
صفحات الأدب العربي.

وعلى الطريقة نفسها، نسير مع الجاحظ، بأن نثبت قوله بالصرفة، فإن أثبتها، كانت لنا  
تلك الجولة في مفهومها وأبعاد مراميها.

والموطن الذي اتهم الجاحظ بالصرفة فيه، في كتابه "الحيوان" في سياق حديثه عن الدهرية  
وطعنهم في ملك سليمان عليه السلام، وأن الله تعالى أعطاه ملكاً كبيراً وحكماً على الجن  
والإنس، وعلم منطق الطير...، ثم لم يعلم أن في سبأ مكلة، وملوك يومهم أقل قدرة من  
سليمان ويعلمون مثل ذلك، فكيف جهل سليمان ذلك؟ فرد الجاحظ على هذا القول: بأن  
يعقوب عليه السلام كان أئبه أهل زمانه، وابنه يوسف عليه السلام وزير ملك مصر- ولم  
يعلم بذلك. ولم يعرفا مكان بعضهما. وكذلك موسى عليه السلام ومن معه تاهوا أربعين  
سنة في فراسخ يسيرة، لا يهتدون لمخرج...، ثم علل الجاحظ كل تلك القصص بعلّة  
الصراف، فقال: ما نصه: "ولكنّ الله صرف أو هامهم، ورفع ذلك الفصل من صدورهم"<sup>(١)</sup>.

---

١- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان ٤/ ٨٧، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١٣٨٥، ٣هـ/ ١٩٩٦م، شركة

ويستطرد الجاحظ بعد ذلك في تأييد ما ذهب إليه، ويحاجج الدهرية، بأمثلة وقصص، إلى أن يصل الأمر به إلى القول: "ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنظمه"<sup>(١)</sup>.

فتناول الدارسون هذه الكلمة من ذاك السياق ونددوا حولها بدندنة الصرفة، وأن الجاحظ صر في المذهب كشيخه النظام. ولم أجد من علق على سابق كلامه في ردّ مقالة الدهرية، وأصبح همّ الباحثين تلك الكلمة المصطادة من بحر الجاحظ المتلاطم بالبلاغة العربية، ووجوه الإعجاز القرآني. فوسّع خصومه الرتق، وانشغل مريدوه بالدفع والتأويل. وسأنقل طرفاً من حديث القوم وتأويلاتهم، لنقف على أهمية مقالة الجاحظ. واكتسبت الأهمية لأهمية قائلها، وخطر منزلته.

وإن كان بعض العلماء السابقين من الأشاعرة كالباقلائي والبغدادي، لم يقيموا وزناً لأدب الجاحظ المعتزلي، ولم يعترفوا بمنزلته وأمعيته، بل هجوه وعادوه، ونالوا منه بسوء القول وقبيح العبارة<sup>(٢)</sup>.

بينما كان الشهرستاني معتدلاً في تقييم أدب الجاحظ، في كتاب "الملل والنحل" قال: "كان من فضلاء المعتزلة، أدرج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة"<sup>(٣)</sup>.

وعد العلامة ابن خلدون أركان الأدب أربعة منها كتاب للجاحظ هو البيان والتبيين، فقال: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين،

---

١- المصدر السابق ٤/ ٨٩.

٢- ينظر: الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ٢٤٨، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ٣، دار المعارف، مصر. البغدادي، الفرق ١٧٥. قال: "اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى ولسم يهول، ولو عرفوا جهالاته في ضلالتة لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنساناً فضلاً عن أن ينسبوا إليه إحساناً". وهجاه بأقبح من ذلك.

٣- الشهرستاني، ١/ ٧٥.

وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها<sup>(١)</sup>.

تأويلات قول الجاحظ بالصرفة:

الرأي الأول: رأي الرافعي: ذكرها الجاحظ عرضاً أو استرسل أو كان ناقلاً فقط.

قال الرافعي: "لم يسلم هو أيضاً من القول بالصرفة وإن كان أخفاها وأوماً إليها عن عرض<sup>(٢)</sup>.

وقال: "وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر أستاذه وهو شيء ينزل على حكم الملابس، ويغري أكر الناس، إلا من تنبه له أو نبه عليه، أو هو يكون ناقلاً، ولا ندري"<sup>(٣)</sup>.

الرأي الثاني: د. الخطيب و د. أبو موسى و د. عمار و د. عرفة: قصد بها زجر الطامعين عن الطمع بمثل القرآن وعدم إثارة التشويش عليه، أو الإتيان بكلام يمكن أن يجادل عنه<sup>(٤)</sup>.

وأجمع أولئك الباحثون على أن صرفة الجاحظ لا تشابه صرفة النظام. قال أبو موسى: "والصرف هنا مباين للصرفة عند النظام، فلولا الصرف عند النظام لجاءوا بمثله، أما صرفة الجاحظ، هذه فلولاها لطمعوا فيه"<sup>(٥)</sup>.

الرأي الثالث: قصد نوعاً من التدبير الإلهي لرفع الشبه التي يمكن أن تكون من المعارضة.

وهذا قول نقله الدكتور عمار عن صاحب كتاب التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة<sup>(٦)</sup>.

---

١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ٥٥٤، ٥٥٣، مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات، بلا تاريخ، بيروت.

٢- الرافعي، ١٤٧.

٣- المصدر السابق، ١٤٧.

٤- الخطيب، ٣٦٨، أبو موسى، ٣٦٣، عمار، ٦٣، عرفة ١٤٦.

٥- أبو موسى، ٣٦٣.

٦- عمار، ٦٣، نقلاً عن كتاب التراث النقدي، ٧٠.

رأبي وترجيحي في صرفة الجاحظ: منذ أن قرأت نص الجاحظ حول الصرفة، تبادر إلى ذهني فوراً أن الصرفة ذكرها الجاحظ في كتابه عَرَضاً، ومر عليها مروراً، لا تلبث عنده، فلم تكن فكرة أساسية أو محورية في منهج بحثه عن الجوانب البيانية والبلاغية في القرآن الكريم، ولا راسية أرسى عليها مذهبه في الإعجاز، أو البلاغة القرآنية، فمن الحيف بشيخ العربية أن تسلط الأضواء على قول عرضي عن الصرفة، ويعمى عن سائر أقواله في الإعجاز والبلاغة القرآنية.

والذي أريد أن أفق عنده، ليست صرفة الجاحظ، وإنما ذلك التعليل الضعيف الذي علل الجاحظ به صرفته، وارتضى نفر جليل تعليله، سوى ما قاله الرافعي، على ما ذكرناه وهو من هو في البلاغة العربية.

ووقفتي هي: عند قول الجاحظ: " ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب، والنساء وأشباه النساء، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً، ولطلبوا المحاكمة والتراخي ببعض العرب، ولكثر القيل والقال"<sup>(١)</sup>.

فأي تعليل أضعف من هذا التعليل، اللهم إن كان هذا التعليل حيلة ليجيز الصرفة، فإما أن توافق القول على الصرفة، وإما هؤلاء الأعراب وأشباههم وإلى آخره سيشوشون على القرآن الكريم...، وما كانت الصرفة إلا لهذه الغاية النبيلة.

ففي نظري، هذا تعليل غير مقبول، فالجاحظ معروف بقوة العارضة، وحدة الذكاء، وبلاغة العبارة، وتغلغل الفهم في أسرار العربية، ومخّ بلاغتها، فمثل هذا حريّ ألا يقول هذا القول الضعيف، في تسوغ القول بالصرفة، اللهم إلا إذا لم يجد الجاحظ غير هذه القشة يستر بها خطأ شيخه النظام، ويسهل على الناقد كشفها، فترك للقارئ مسؤولية الكشف عن خطأ

شيخه، فغطاه بهذه القشة، أو أخفاه وراء الحجة الواهية، ليتهاوى بين يدي القارئ، وليس بيد الجاحظ.

ودليل قولنا هذا: ترهات مسيلمة الكذاب وغيره، ومحاولاتهم، ماذا صنعت؟ إنها أنقصتهم في أعين الناس ففضحت ضالة قرائحهم البلاغية، وعقم أساليبهم البياني، وركاكة ألفاظهم، وتندّر بها الصبيان على مر الزمان، وكانت محلّ الإهمال والتندّر والضحك، وانزوت محاولاتهم مضحكة خجلة أن تعدّ من فصيح الكلام.

فأين هذا الذي يقول من تلك التسوغات لكلام شيخ العربية؟

فالعربي والأعرابي كانوا على درجة عالية من الفصاحة، والدقة في التفريق بين بلاغة القرآن وعذوبتها وتأثيرها وبين كلام شعرائهم وفصحاءهم.

ولكي تبقى صورة الجاحظ البلاغية مشرقة، ولتأكيد موقفه الرصين الأصيل من البلاغة القرآنية والإعجاز القرآني، لا بدّ من التعرّيج قليلاً على نصوص من كتبه نمر عليها مروراً، إذ المسألة تستحق دراسة مفردة.

ومن تلك النصوص التي تؤكد موقفه الرائع من البيان القرآني، قوله: "لأنّ رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها. ولو تحدّى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها. وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين<sup>(١)</sup>.

ثم قال: "ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، واستعان بجميع قحطان ومعدّ بن عدنان<sup>(٢)</sup>.

---

١- الجاحظ، حجج النبوة ٣/٢٢٩، من رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ١٤١١هـ، ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.

٢- المصدر السابق ٣/٢٢٩.

ويؤكد على وجه التحدي بالنظم القرآني وليس بالصرفة، فقال: " وأنه تحدّى البلغاء والشعراء، بنظمه، وتأليفه، في المواضع الكثيرة، والمحافل العظيمة"<sup>(١)</sup>.

ويحلل الجاحظ عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن بتحليل واضح، وآخر يكتنفه الغموض، قال: " لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكونوا عرفوا عجزهم، وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره، والتغافل عنه في هذا الباب وإن قرّعهم به، أمثل لهم في التدبير، وأجدر أن لا يتكشف أمرهم للجاهل والضعيف، وأجدر أن يجدوا إلى الدعوى سبيلاً، وإلى اختداع الأنبياء سبباً، فقد ادّعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه، وهو قوله عزّ ذكره: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾<sup>(٢)</sup> . . . . . وإما أن يكون غير ذلك.<sup>(٣)</sup>

ولم يفصح الجاحظ ماذا يعني بغير ذلك. إلا أنني أسجل للجاحظ موقفاً، لو كان قائلاً بالصرفة منهجاً لقاله فيه لكنه لم يقله. وهو قوله: " فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرّون على أكثر منه. فلم يزل يقرّعهم بعجزهم، وينتقصهم على نقصهم، حتى تبين لضعفائهم وعوامّهم، كما تبين لأقويائهم وخواصهم. وكان ذلك أعجب ما آتاه الله نبياً قط، مع سائر ما جاء به من الآيات، ومن ضروب البرهانات<sup>(٤)</sup>.

والجاحظ يعلن صراحة مخالفة شيخه النظام، وأنه يقول بحجية نظم القرآن. قال: " فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان، فلم أدع فيه مسالة لرافضي، ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر مباد، ولا

١- المصدر السابق ٢٥١/٣.

٢- سورة الأنفال: ٣١.

٣- الجاحظ، حجج ٢٧٥/٣.

٤- المصدر السابق، ٢٨٠/٣.

لمناقق مقموع؁ و لا لأصحاب النظام؁ ولمن نجم بعد النظام؁ ممن يزعم أن القرآن خلّق؁ و ليس تأليفه بحجة؁ وأنه تنزيل و ليس ببرهان و لا دلالة"<sup>(١)</sup>.

## المطلب الرابع

### الرماني والصرفة

الرماني عالم معتزلي من علماء البلاغة العربية؁ ت ٣٨٦ هـ؁ قال بالصرفة و اعتبرها وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم؁ و ليس الإعجاز كله. قال: "لما لم تقع المعارضة دلّ ذلك على العجز عنها. و أما التحدي فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها"<sup>(٢)</sup>. وقال: "و أما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة؁ و على ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أنّ القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة؁ و ذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة؁ و هذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول"<sup>(٣)</sup>.

---

١- الجاحظ؁ خلق القرآن ٣/٢٨٧؁ من رسائل الجاحظ؁ تحقيق و شرح عبد السلام هارون؁ ط ١٤١١هـ/١٩٩١م؁ دار الجيل؁ بيروت.

٢- الرماني؁ ١١٠؁ ١٠٩.

٣- المصدر السابق؁ ١١٠.

## المطلب الخامس

### الصرفة والقاضي عبد الجبار

القاضي عبد الجبار الهمداني ت ٤١٥ هـ، شخصية بارزة ومركزية في مذهب المعتزلة وشيوخهم. وله أكثر من أربعمئة ألف ورقة في التصنيف والتأليف<sup>(١)</sup>. ورأي عبد الجبار في المعتزلة قوي مؤثر، وفي هذا المطلب سأجول في كتابين من كتبه الأول "شرح الأصول الخمسة"، والثاني "المغني في أبواب التوحيد والعدل" في المجلد السادس عشر، لنستطلع رأيه في الصرفة، وكيف كان مخالفاً للنظام ومن نهج نهجه فيها. والذي دفعني لتناول ما كتب عبد الجبار أمران:

أما الأول: قوة دفاعه عن الإعجاز القرآني، وبسط القول فيه، وسد منافذ القول بالصرفة، بأسلوب بياني وعقلي.

وأما الثاني، فقد أتى لاحقاً بعد هذه القناعة، وهو قول العلامة محمود شاكر في تحقيقه دلائل الجرجاني ت ٤٧١ هـ، اتضح له بعد سنين طويلة أن الجرجاني أخذ عن عبد الجبار<sup>(٢)</sup>. وبما أن الجرجاني أحد أعمدة السنة والبلاغة القرآنية في الدفاع عن الإعجاز القرآني، ونفي الصرفة، كان من الإنصاف أيضاً أن نذكر عبد الجبار في خط الدفاع عن الإعجاز وبيان عوار الصرفة.

وجه الإعجاز عند عبد الجبار: قال: "فإن قيل ما وجه الإعجاز في القرآن؟ قلنا: هو أنه تحدى بمعارضة العرب مع أنهم كانوا هم الغاية في الفصاحة، والمشار إليهم في الطلاقة

١- علي، ٥٧.

٢- شاكر، محمود، مقدمة تحقيق دلائل الإعجاز، صفحة و، مكتبة الخانجي، بلا تاريخ، القاهرة.

والذلاقة، وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يعارضوه وعدلوا عنه لا لوجه سوى  
عجزهم عن الإتيان بمثله"<sup>(١)</sup>.

فلا وجه عنده لعدم المعارضة سوى العجز.

استمرار التحدي: قال: "فإن هذه الآيات مسموعة الآن والتحدي قائم على وجه الدهر، وفي  
الفصحاء كثرة في هذه الأزمان فيجب أن يأتوا بمثله"<sup>(٢)</sup>.

---

١- الهمداني، عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ٥٨٦، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة،

ط ١٤١٦، ٣٣هـ/ ١٩٩٦م، القاهرة.

٢- المصدر السابق، ٥٨٧.

فلئن صُرف السابقون، كما لا يقولون، فالتحدي قائم، فليأتوا بمثله إن استطاعوا.  
الإعجاز في القرآن نفسه: قال عبد الجبار عن القرآن الكريم: "كونه معجزاً دالاً على نبوته"<sup>(١)</sup>.  
ناقض عبد الجبار، النظام في أكثر من رأي في الإعجاز، فهو ينفي الإعجاز بالصرفة، ولا  
يقول بالإعجاز بالغيب. قال: "فأما من قال: إنه ﷺ، إنها تحدى بالقرآن، من حيث تضمن  
الإخبار عن الغيوب، فبعيد..، لأنه قد تحدى بمثل كل سورة، من غير تخصيص، ولا  
يتضمن كل ذلك الإخبار عن الغيوب"<sup>(٢)</sup>.

أما نقضه للصرفة، فكثير في كتابه "المغني" منها قوله: "فأما ادعاء السائل أنه ﷺ، توفرت  
دواعيه، وأتى بمثل القرآن، وانصرفت دواعيهم عن فعل مثله فلذلك لم يأتوا به، وأن وجه  
التحدي في ذلك وقوع الصرف فيهم عن مثله، فبعيد.. لأننا نعلم، باضطرار، توفير دواعيهم  
إلى إبطال أمره، والقدرح في حاله، على ما سنبينه، حتى لم يبق وجه في الدواعي إلا وتوفر  
فيهم، فكيف يصح مع ذلك ادعاء ما ذكرته"<sup>(٣)</sup>.

والغريب الملاحظ في كتاب المغني لعبد الجبار أنه خلا من اسم النظام أو كلمة واحدة بحقه،  
لا سلباً ولا إيجاباً، وهو يناقش الصرفة.

وبعد نقاشات واسعة وطويلة تكذّب العقل كدّاً في الصرفة ذكرها في كتابه "المغني" انتهى  
القول به: "واعلم أنّ الخلاف في هذا الباب، أنا نقول: إنّ دواعيهم انصرفت عن المعارضة،  
لعلمهم بأنها غير ممكنة، على ما دللنا عليه، لأننا نجعل انصراف دواعيهم تابعاً لمعرفتهم بأنها  
متعذرة، وهم يقولون: إنّ دواعيهم انصرفت مع التأي، فلأجل انصراف دواعيهم لم يأتوا  
بالمعارضة، مع كونها ممكنة، فهذا موضع الخلاف"<sup>(٤)</sup>.

١- المصدر السابق، ٥٩٤.

٢- الهمداني، عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ١٦/ ٢٢٠، قوّم نصه أمين  
الخلي، ط، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، وزارة الثقافة، مصر.

٣- المصدر السابق، ١٦/ ٢٢٠.

٤- المصدر السابق، ١٦/ ٣٢٤.

ولعبد الجبار توجيه خاص للصرفة، ففي محاورته للقائلين بالصرفة على قولهم "أن ينصرفوا عن المعارضة لأمرين: أحدهما صرفة لدواعيهم. والآخر: علمهم بتعذر المعارضة لأنهما لا يتنافيان. قيل له: إنها وإن لم يتنافيا على هذا الوجه، فإنهما على الوجه الذي قدمناه يتنافيان، لأن المخالف يزعم أنهم عدلوا عن المعارضة، مع إمكانها للصرفة التي بينها، ونحن قلنا: عدلوا بذلك من حالها، فلا بد من التنافي، على هذا الوجه، فأما إذا لم يقدر الأمر هذا التقدير فغير ممتنع على بعض الوجوه اجتماع الأمرين، بأن يتركوا المعارضة لمعرفة بتعذرهما، ولأن سائر الدواعي صرفوا عنها، فيكون أوكد في باب الانصراف، فلاجل انصرفهم عن سائر الدواعي عدلوا عنها، من كل وجه"<sup>(١)</sup>.

والذي أريد أن أنتهي إليه أن جهبذاً كبيراً في المعتزلة لم يقل بالصرفة وهو من هو في مكانته بينهم. ووجه الصرفة توجيهاً حسناً.

أما نقضه لعري الصرفة، فسأنقله في مطلب نقض أدلة الصرفة.

---

١- المصدر السابق، ١٦/٣٢٧، ٣٢٦.

## المبحث الرابع

خروج الصرفة من عباءة المعتزلة ودخولها باب الإعجاز

المطلب الأول: دخول الصرفة باب الإعجاز عند أهل السنة.

المطلب الثاني: دخول الصرفة باب الإعجاز عند الشيعة.

## المطلب الأول

### دخول الصرفة باب الإعجاز عند أهل السنة

يعدُّ هذا المطلب هو التطور الأهم في فكرة الصرفة، مما صعّب الطريق أمام خصومها، وذلك السبيل أمام أصحابها الأصليين، وغدا الباحث في حيرة، فقد كانت الصرفة سابقاً ترمى بحمَمِ الغضب، كون شيخ المعتزلة النظام قال بها. وأن يقول النقاد فيها " ما لم يقله مالك في الخمر".

ولكن عندما زحفت الصرفة إلى المعسكر السنّي، وتسَلَّلت إلى أقطاب الفكر الإسلامي في أهل السنة والجماعة، وحملوها، أصبح رمي الصرفة بمنجنيق التهمة والتكفير مسألة فيها نظر.

فلم تعد الصرفة محتكرة تحت عباءة الاعتزال، الذي شوّه سمعتها، فقول النظام بها، كان سبباً كافياً لطي صفحتها، وكان من الممكن وقتها أن يقال: هي مذهب المعتزلة، وكفى الله المؤمنين شر الجدال.

لكن الأمر ليس كذلك، إذ قدّر للصرفة أن تنمو وتترعرع، وتفشو بين علماء أهل السنة، فاستحسنتها ومجّدها طبقة عالية المقام، وقال بها فريق جليل قدير في النظر والعلم، واستخدمها وسيلة للدفاع عن الإسلام مفسرون ضالعون تضلعوا من ينبوع اللغة والحديث، ولهم شأن عالٍ بين أهل السنة والجماعة.

والأمر عندي، لا شك في أنه يعدّ نصراً للصرفة وأصحابها، وتطوراً بليغاً في الدراسات القرآنية والإعجاز القرآني.

كلمة قالها النظام في القرن الثالث ظل صداها يتردد إلى القرن الثامن الهجري، لا ريب في أهمية مدلولها، وقوة تأثيرها.

وإذا قرأنا تقديم إمام الحرمين الجويني ت ٤٧٨ هـ، للقول بالصرفة، وجدنا فيها حماسة، لا نجد مثلها عند معتزلي نظامي، ولا مرداري، قال: "وأنا بعون الله تعالى وحسن توفيقه آتي فيه بمسلك الحق وأبين عن واضح الوجه واندفاع تمويهات الزائغين وانتفاض مطاعن المبطلين. فليعلم المشتبه إلى ذلك: من رام أن يثبت إعجاز القرآن بأنه في جزالته خارق للعادات مجاوز لفصاحة اللدّ البلغاء واللّسن الفصحاء فقد حاد عن مدرك الحق، فإن من تأمل كلام العرب في نظمها ونثرها لم يتحقق عنده انتهاء جزالة القرآن إلى حد الخروج عن العادة في الزيادة على كلام الفصحاء، ومن تكلف إثبات ذلك فقد تكلف شططاً، وظن غلطاً<sup>(١)</sup>.

ثم تشتد حماسة الجويني وتعلو نبرته في اعتماد الصرفة وجه الإعجاز القرآني، بقوله: "ومن هدي إلى هذا المسلك فقد رشد إلى الحق المنير"<sup>(٢)</sup>.

وختم قوله بنتيجة هي: "وهذا الفصل من أنفس ما جرى به خاطر. وهو خاتمة العقيدة في المآخذ العقلية. فهذا بالغ جداً، وهو عندي أبلغ من قلب العصا حية ونحوه"<sup>(٣)</sup>. ولا تنقص حماسة الراغب الأصفهاني ت ٥٠٤ هـ<sup>(٤)</sup>، عن الجويني في تبني الصرفة واعتمادها الوجه الأبلغ في الإعجاز، قال: "وأبي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضة مصروفة في الباطن عنها"<sup>(٥)</sup>.

---

١- الجويني، ٧٢.

٢- المصدر السابق، ٧٣.

٣- المصدر السابق، ٧٣.

٤- في الإتيان كتب الأصبهاني، والصواب الأصفهاني، وهو الحسين بن الفضل الإمام أبو القاسم الملقب بالراغب الأصفهاني، له التفسير الكبير في عشرة مجلدات. ومعجم مفردات القرآن. ينظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ٩١/١، تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ١٤٠٧، ١ هـ، الكويت.

والإمام الغزالي عظم الصرفة فقال عن الصرف: "من أعظم المعجزات"<sup>(٢)</sup>  
وعلماء أهل السنة موقفهم من الصرفة متفاوت، فمنكروها لا علاقة لبحثنا بهم. وأما  
الآخرون، فهم أصناف:

- الصنف الأول: منهم القائل بالصرفة في باب الإعجاز صراحة.  
الصنف الثاني: قائل بالصرفة على وجه الاحتمال، وحيناً على وجه الصراحة والوضوح.  
الصنف الثالث: عدّ الصرفة قولاً ضعيفاً، فتساهل في ذمها.  
الصنف الرابع: عدّ الصرفة سلاحاً يقاقل به أمام خصوم الإسلام.  
الصنف الخامس: نقلوا القول بالصرفة في كتبهم، فأشكل النقل على الناقل فاتهمهم بها.  
الصنف السادس: ذكر معنى الصرفة ولم يذكرها نصاً.

---

١- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ١/١٠٣، شركة ومكتبة مطبعة مصطفى  
البابي الحلبي، ط ١٣٩٨، ٤/١٩٧٨ م، مصر- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقران في  
إعجاز القرآن، ٦، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي، بلا تاريخ.

٢- الغزالي، محمد أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، ١٣٠، دار الكتب  
العلمية، ط ١٤٠٣، ١هـ/١٩٨٣، بيروت.

الصنف الأول: القائل بالصرقة في باب الإعجاز صراحة.

على سبيل المثال لا الحصر.

١. الإمام الماوردي ت ٤٥٠ هـ.

قال في وجوه الإعجاز تحت عنوان "الوجه العشرون من إعجازه الصرقة عن معارضته"<sup>(١)</sup>.

٢. الإمام الحافظ البيهقي ٤٥٨ هـ.

في البداية حكى الصرقة قولاً لبعض أهل العلم، قال: "ومنهم من قال في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله، وصراف المهتم عن معارضته مع وقوع التحدي، وتوفير الدواعي إليه، لتكون آية للنبوة، وعلامة لصدقه في دعواه"<sup>(٢)</sup>.

ثم أفصح البيهقي عن رأيه، فقال: "وأما الصرقة والتعجيز مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله، فإنها يعلم بعدم المعارضة مع توفير الدواعي وشدة الحاجة إليه. وذلك ما لا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا قادرين عليه لبادروا إليه مع حرصهم على إبطال دعوته ونقض كلمته، ولما خرجوا في أمره إلى نصب القتال والتغريب بالأنفس، وإتلاف الأموال، ومفارقة الأهل والأوطان، ولكان ذلك أيسر عليهم من مباشرة هذه الخطوب، ومقاساة هذه الشدائد والكروب، فلما لم يفعلوه دَلَّ على عجزهم عن ذلك وسبيل هذا سبيل رجل عاقل اشتد به العطش وبحضرته ماء، فجعل يتلوى من شدة الظمأ ولا يشرب الماء، فلا يشك شاك أنه عاجز عن شربه أو ممنوع لسبب يعوقه عنه، وأنه لم يتركه اختياراً، مع توفر الدواعي له وشدة الحاجة منه إليه، وهذا بين والحمد لله"<sup>(٣)</sup>.

---

١- الماوردي، علي بن محمد، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠١، ٢/١٩٨١ م، بيروت. هناك أكثر من طبعة من هذا الكتاب ومنها محقق فاخرت هذه لتضمها التاريخ والناشر بوضوح، والبقية خلا من ذلك، أما التحقيق في الأخباريات فليس كما يجب.

٢- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، ١٤٨، رتبه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٤، ١/١٩٨٤ م، بيروت.

٣- البيهقي، ١٥٥، ١٥٤.

٣. إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ت ٤٧٨ هـ.

تحدث عن أوجه الإعجاز، فقال عن تحدي القرآن: " فلم يقدرُوا على الإتيان بمثله، ثم استأثر الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ، وكرت الدهور والعصور، وأقطار الأرض تطفح بجميع الكفار، وذوي الفطن النافذة، وشوقهم أن يستمكنوا من مطعن الإسلام. وفي كل قطر منهم طائفة مشتغلون بالنظم والنثر على لغة العرب، فقصرت قدر الخلق عن المعارضة في أربعائة وستين سنة ونيف، فتبين قطعاً "أن الخلق" ممنوعون عن مثل ما هو مقدورهم وذلك أبلغ عندنا من خرق من العوائد بالأفعال البديعة في أنفسها"<sup>(١)</sup>.  
وقال: " فإذا لم تجر المعارضة، لم يبق لإقناعها مع توفر الدواعي عليها، محمل إلا صرف الله الخلق"<sup>(٢)</sup>.

٤. حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ت ٤٨٨ هـ.

قال في سياق حديثه عن وجه الإعجاز: " فإن انصرفهم عن المعارضة لم يكن إلا بصرف من الله تعالى، والصرف عن المقدور المعتاد من أعظم المعجزات"<sup>(٣)</sup>.  
وقال: " إن فرض وجود القدرة ففقد دواعيهم مع سلامة الأعضاء من أعظم المعجزات، وإن فرض وجود القدرة ففقد دواعيهم وصرفهم عن المعارضة المعتاد من أعظم المعجزات"<sup>(٤)</sup>.

٥. الأصفهاني ت ٥٠٣ هـ.

قال في تفسيره كما نقله السيوطي ت ٩١١ هـ: " وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً إذا اعتبر"<sup>(٥)</sup>.

١- الجويني، ٧٣.

٢- المصدر السابق، ٧٣.

٣- الغزالي، ١٣٠.

٤- المصدر السابق، ١٣٠.

٥- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ١/١٥٣، معترك الأقران في إعجاز القرآن ٦.

٦. ابن حزم الأندلسي ت ٥٤٨ هـ.

قال: "فلا بدّ لهم من هذه الخطة أو من المصير إليها أنّ الله تعالى منع من معارضته فقط"<sup>(١)</sup>.  
وقال: "فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً، وأنّ الله تعالى منع الخلق من مثله وكسائه  
الإعجاز وسلبه جميع الخلق"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له أصراره معجزاً ومنع من مماثلته، وهذا برهان  
كافٍ لا يحتاج إلى غيره، والحمد لله"<sup>(٣)</sup>.

وقال: "كل كلمة قائمة المعنى يعلم إذا تليت إنها من القرآن، فإنها معجزة لا يقدر أحد على  
المجيء بمثلها أبداً، لأن الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك"<sup>(٤)</sup>.

وعلق الرافعي على صرفة ابن حزم، فقال: "ولم نر أحداً فسر الصرفة كابن حزم"<sup>(٥)</sup>.

٧. المفسر ابن جزّي الكلبّي يعقوب بن يوسف ت ٦٣٧ هـ.

قال في تفسيره: "وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين: أحدهما: أنه ليس في قدرتهم  
الإتيان بمثله وهو الصحيح، والثاني أنه كان في قدرتهم وصر فوا عنه، والإعجاز حاصل على  
الوجهين"<sup>(٦)</sup>.

٨. عضد الدين بن عبد الرحمن الإيجي ت ٧٥٦ هـ.

في البداية حكى وجوه الإعجاز، ومنها قوله: "أما الصرفة، فنقول: بأنّ الإعجاز ليس  
التعيين، ولكن ندعيها"<sup>(١)</sup>.

١- ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٣/١٨، دار الفكر، بلا تاريخ، بيروت.

٢- ابن حزم، الفصل، ٣/١٩.

٣- المصدر السابق، ٣/١٩.

٤- المصدر السابق، ٣/٢١.

٥- الرافعي، ١٤٦.

٦- ابن جزّي، محمد بن أحمد، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ١/٤١، دار الكتاب

العربي، ط ١٣٩٣، ٢/١٩٧٣ م.

٩. بعض أصحاب أبي الحسن الأشعري دون تحديد أسمائهم.

قال الشهرستاني عن أبي الحسن الأشعري: "ومن أصحابه مكن اعتقد أن الإعجاز في القرآن

من جهة صرف الواعي، وهو المنع من المعارضة، ومن جهة الإخبار عن الغيب"<sup>(١)</sup>.

الصنف الثاني: قائل بالصرفة على وجه الاحتمال، وحيناً على وجه الصراحة والوضوح.

ومن هؤلاء على سبيل المثال:

ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ.

قال: تحت عنوان فصل في ذكر إعجاز القرآن العظيم، وبعد عرضه الاعتراضات على

الصرفة، قال ابن القيم: "وكل واحد من هذه الأقوال يحتمل أن يكون معجزة إذا تحدى بها

الرسول ﷺ وعجز عن الإتيان بمثل ما تحدى به وسمي هذا القول معجزة لتعجيزه من رام

معارضته والإتيان بمثله"<sup>(٢)</sup>.

وهذا موقف واضح يقول بالاحتمال وليس بالقطع بالصرفة.

ثم يقول ابن القيم بعد ذلك: "والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه

وكله معجزة، إما لسلب قدرتهم عن الإتيان بمثله، وإما لصر فهم عنه لأن النبي ﷺ تحدى

به، وعرض عليهم الإتيان بمثله، فعجزوا عن ذلك، ولأن الله أخبر أنهم لا يأتون بمثله ولو

كان بعضهم لبعض ظهيراً"<sup>(٣)</sup>.

---

١- الإيجي، عضد الدين بن عبد الرحمن، كتاب المواقف ٣/٤٠٤، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة،

ط ١٩٩٧، ١م، دار الجليل، بيروت.

٢- الشهرستاني ١/١٠٣.

٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ٢٥٢، دار الكتب العلمية، بلا

تاريخ، بيروت.

٤- المصدر السابق، ٢٥٢.

تنبيه على تحليل الدكتور أحمد عمار:

الدكتور عمار جليل القدر، ولكنه تسرع في تلقف رأي ابن القيم، فخلط وجهة نظر ابن القيم في الصرفة في نص واحد، وحذف منه سطرًا ونصفًا من قوله: "دون الإشارة إلى ذلك، واختار من الفقرة، مع الحذف موقف ابن القيم بصراحة من القول بالصرفة"<sup>(١)</sup>.

وعدّ قول ابن القيم وابن تيمية من الأقوال المتضاربة في الصرفة<sup>(٢)</sup>.

والدقة تقتضي عرض الرأي كما قاله صاحبه، فالبدائية احتمال وفي النهاية تصریح بالصرفة، وهذا له قيمته في توجيه الآراء، وله دلالاته أيضاً، وعليه أنه، وعدم مراعاة ذلك، أوقع د.

عمار بتهمة التضارب في الأقوال لابن القيم وابن تيمية.

الصنف الثالث: عدّ الصرفة قولاً ضعيفاً، فتساهل في ذمها.

ومن هؤلاء على سبيل المثال شيخ الإسلام ابن تيمية.

عرض الدكتور عمار في كتابه "نظرية الإعجاز القرآني" لموقف ابن تيمية من الصرفة، هو عرض مشوش، ولا يتناسب مع قول ابن تيمية، كما أنّ استنتاجات الدكتور عمار غير دقيقة، فوضع القارئ في إشكالية.

وليبيان ذلك أنقل موقف ابن تيمية، قال: "ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام، إنه معجز برف الدواعي مع قيام الموجب لها، أو سلب القدرة الجازمة، وهو أنّ الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى التام"<sup>(٣)</sup>.

فابن تيمية هنا يحلل قول من قال من أهل الكلام، ولا يقول رأياً له بالصرفة. ثمّ يعقب على أقوال أهل الكلام عن الصرفة بقوله: "فإنّ هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو أنه إذا

١- عمار، ٧٤.

٢- المصدر السابق، ٧٢.

٣- ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٥/٤، أشرف على طبعه صبح المدني، مطبعة المدني، بلا تاريخ، القاهرة.

قَدَّرَ أنَّ هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات"<sup>(١)</sup>.

وهذا القول من ابن تيمية واضح الدلالة فيما إذا قَدَّرَ أنَّ الصرفة تمت مع توفر الدواعي، فهذا من أبلغ الخوارق.

أقول: وهذا قول صائب صحيح، وليس فيه ما يدل على ترددٍ في الصرفة، كما استنتج الدكتور عمار، فقال: "تضاربت أقوال البعض بين القول بالصرفة أو نفيها، مثل ابن تيمية الذي يرى أنَّ القول بالصرفة من أضعف الأقوال"<sup>(٢)</sup>.

وإن كان لا بدَّ من إدلاء الدلاء في هذا المعترك، فأقول: القول عندي: إني آخذ على ابن تيمية في قوله في الصرفة أمراً واحداً، وهو قوله عنها "من أضعف الأقوال"، فالمعروف عن ابن تيمية أنه شديد في نقض الأفكار المخالفة للشريعة، لا يبالي في نقضها والحرب عليها بعبارات شديدة قوية، واستخدامه هنا كلمة "ضعيفة"، لا يتفق مع أسلوبه ونهجه في نقد ونقض الأفكار المخالفة، فهذا تعبير رخو مسالم.

ولو كان لنا أن ندخل القلوب ونطلع على النوايا، لقلت: "لعله عدها قولاً على ضعفها" ولكننا صرفنا عن ذلك.

الصنف الرابع: عدَّ الصرفة سلاحاً يقاتل به أمام خصوم الإسلام.  
ومن هؤلاء على سبيل المثال.

الحافظ المفسر ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ.

ابن كثير لم يعدَّ الصرفة وجهاً من وجوه الإعجاز، وإنما استحسَن الصرفة في مجال آخر، وهو الدفاع عن الإسلام والقرآن، فقال عنها: "وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية، لأنَّ القرآن في

١- ابن تيمية، ٤/٧٥.

٢- عمار، ٧٣.

نفسه معجز، لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق"<sup>(١)</sup>.

الصنف الخامس: نقلوا القول بالصرفة في كتبهم، فأشكل النقل على الناقل فاتهمهم بها.

١. اتهام السيوطي ت ٩١١ هـ. بالصرفة، وتبرئته منها.

اتهم الدكتور رسلان السيوطي بالصرفة وحشره في زمرة الصرفيين، ظلماً، ولإثباته التهمة انتقى نصاً للسيوطي، اعتبره تأكيداً لقول السيوطي بالصرفة.

والنص المنقول عن السيوطي، مجتزأ من سياق طويل، أما نقل الدكتور رسلان، فهو: ويستطرد السيوطي بعد ذلك مؤكداً وجهة نظره في القول بالصرفة كوجه من وجوه إعجاز القرآن، فيقول: "وقد جاء القرآن على نمط كلام العرب المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته، ولا يقولوا مثلاً: أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه، كما لا يصح للبصير أن يقول للأعمى: قد غلبتك بنظري، لأنه يقول له: إنما تتم الغلبة لو كنت قادراً على النظر، وكان نظري أقوى من نظرك، فإذا فقد أصل النظر فكيف تصح مني المعارضة"<sup>(٢)</sup>.

هذه الفقرة مجتزأة من سياق طويل، يشبه اجتزاء الاستدلال بترك الصلاة من آية ﴿ لا تقربوا الصلاة ﴾<sup>(٣)</sup> ولا يقرأ الآية كاملة. فالسيوطي في واد و رسلان في واد آخر. فالسيوطي يتحدث عن إتيان القرآن على نمط لغة العرب، فلو كان القرآن على غير نمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فلا تتم الحجة في الإعجاز، فجاء على نمط كلامهم المعتاد....<sup>(٤)</sup>.

فأين هذا الذي قاله السيوطي من الصرفة، و رسلان حذف مطلع الكلام، فوقع فيها وقع فيه، وبعد أن قرأت آراء الدكتور رسلان في الصرفة وكيف صرفها على السيوطي، وجدت

١- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ١/٦١، مكتبة التراث، بلا تاريخ، القاهرة.

٢- رسلان، ٢٣٢.

٣- سورة النساء: ٤٣.

٤- السيوطي، معترك الأقران، ٧.

رسالن، حيث لقي كلمة صرفة ألصقها بقائلها تهمة، وهكذا صنع مع القرطبي. فيبدو أنه لا يتروى.

## ٢. اتهام القرطبي بالصرفه وتبرئته منها.

قال رسلان: "القرطبي الذي عدها وجهاً من وجوه إعجاز القرآن"<sup>(١)</sup>. واتهامه للقرطبي لم يبين مكان التهمة، والذي يغلب على ظني من تفسير القرطبي. وبالعودة إلى تفسيره، نجد القرطبي عد عشرة أوجه للإعجاز ولم يذكر الصرفه واحداً منها. قال: "قلت فهذه عشرة أوجه ذكره علماءنا رحمة الله عليهم. ووجه حادي عشر قاله النظام، وبعض القدرية أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته،... وهذا فاسد"<sup>(٢)</sup>.

فأين عدّ القرطبي من عدّ رسلان وعدّ النظام، كيف لا يقرأ ما ينقل؟

الصنف السادس: ذكر معنى الصرفه ولم يذكرها نصاً.

ومن هؤلاء الفخر الرازي المفسر ت ٦٠٦ هـ.

فالرازي ذكر الصرفه بمعناها، ومفهومها ولم يذكرها نصاً صريحاً. قال: فعد إتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيها على الإتيان بها أمر خارق العادة، فكان ذلك معجزاً، فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه، وهذا الطريق عندنا أقرب للصواب"<sup>(٣)</sup>.

وقال عن السور القصيرة في القرآن الكريم: "ونحن نعلم أن الإتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن، فإن قلتم: إن الإتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر، كان ذلك مكابرة والإقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة إلى الدين. قلنا: فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني. وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز فقد حصل

١- رسلان، ٢٣٢.

٢- القرطبي، ١/٧٥.

٣- الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ١١٦/٢، ط ٢، بلا تاريخ، دار الكتب العلمية، طهران.

المقصود، وإن لم يكن الأمر كذلك، كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزاتٍ، فعلى هذين التقديرين يحصل العجز<sup>(١)</sup>.

---

١- المصدر السابق، ٢/١١٧.

## المطلب الثاني

### دخول الصرفة باب الإعجاز عند الشيعة

لم تعدّ الشيعة كفرقة الصرفة وجهاً من وجوه الإعجاز، ولكن هناك علماء منهم قالوا بالصرفة، ودار جدال بينهم حول نسبة الصرفة للشريف المرتضى من أكابرهم. ذكر توفيق الفكيكي في مقال له بمجلة رسالة الإسلام منشور على صفحة الإنترنت أن الشيعة لا يقولون بالصرفة ونقل نصوصاً كثيرة عن علمائهم، وقال كتب المرتضى خلت من الصرفة، واستدل بكتاب له اسمه "الموضح" لا صرفة فيه وهو يحكي عن القرآن الكريم، كما استدل بإنكار الأستاذ حسين آل كاشف الغطاء من علماء الشيعة المعاصرين من الذين جادلوا عن المرتضى، في نفي الصرفة عنه<sup>(١)</sup>.

ومن الشيعة من نفى الصرفة، منهم الإمام الصدر، قال: "فليس هناك صرفة، وإنما هو تنزيل من لدن حكيم حميد"<sup>(٢)</sup>.

وإن لم يتسنّ لي الاطلاع على ما كتب المرتضى في صرفته، وبعد جهد متواصل حصلت على "أمالي" المرتضى في مجلدين ضخمين، قلبت النظر فيهما، متلمساً أثراً للصرفة فلم أجدها. فيمّمت وجهي شطر كتب الشيعة، فوجدت بغيتي، عند محمد باقر المجلسي ت ١١١١ هـ، - من علماء الشيعة - في كتابه "مجمع الأنوار" فقد نقل صرفة المرتضى، وهو يعدد أوجه الإعجاز، فقال: " فأول ما ذكر من تلك الوجوه، ما اختاره المرتضى وهو أنّ وجه الإعجاز

---

١ - الفكيكي، توفيق، مجلة رسالة الإسلام، عدد ١١١، مجمع التقريب العالمي بين المذاهب. من شبكة الإنترنت.

٢ - العجلي، شميران، الإمام الصدر وعلوم القرآن، عن شبكة الانترنت.

في القرآن أنّ الله تعالى صرف العرب عن معارضته، وسلبهم العلم بكيفية نظمه وفصاحته، وقد كانوا لولا هذا الصرف، قادرين على المعارضة متمكنين منها<sup>(١)</sup>.

وذكر المجلسي سبعة أوجه للإعجاز منها الصرفة، ثم قال: "ولو قلنا إنّ هذه الوجوه السبعة كلها وجوه إعجاز القرآن على وجه دون وجه لكان حسناً<sup>(٢)</sup>".

وقال ابن سنان الخفاجي، - وهو من الشيعة -<sup>(٣)</sup> بالصرفة. ففي بداية كتابه "سر الفصاحة" عرض القول بالصرفة كاتجاه دالّ على الإعجاز، قال: "والقول الثاني: أنّ وجه الإعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أنّ فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف<sup>(٤)</sup>".

فهو يحكي القول بالصرفة، ثم في موضع آخر يفصح عن رأيه بالصرفة، قال: "وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك"<sup>(٥)</sup>.

---

١- المجلسي، ١٢٧/٨٩.

٢- المصدر السابق، ١٢٨/٨٩.

٣- نسبه د. عمار إلى المعتزلة، ينظر: ص ٥٨.

٤- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة ٤، تحقيق علي فودة، ط ١٤١٤هـ، ٢/١٩٩٤م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥- المصدر السابق، ٩٢.

## المبحث الخامس

### الإعجاز بالصرفة

المطلب الأول: الصرفة بحد ذاتها إعجاز.

المطلب الثاني: أوجه القول بالصرفة، وتعدد مفاهيمها.

المطلب الثالث: أدلة القول بالصرفة.

المطلب الرابع: أدلة نقض الصرفة.

المطلب الخامس: إيجابيات القول بالصرفة.

المطلب السادس: سلبيات القول بالصرفة.

## المطلب الأول

### الصرفة بحد ذاتها إعجاز

والصرفة سواء ثبتت أم لم تثبت، فهي دليل العجز، وتدل على الإعجاز، وأن القرآن الكريم، معجز للخلق، وبذلك يدل على نبوة النبي محمد ﷺ.

قال الخطابي عن المعجزة: "إنما تعتبر صحتها، بأن تكون أمراً خارجاً عن مجاري العادات ناقضاً لها، فمهما كانت بهذا الوصف، كانت آية دالة على صدق من جاء بها"<sup>(١)</sup>.

وقال الرماني: "وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة"<sup>(٢)</sup>.  
وضرب القاضي عبد الجبار مثلاً، فقال: "لأنه كان بمنزلة أن يقول ﷺ، دلالة على نبوتي لأني أريد المشي في وجهة فيتأتى لي العادة، وتريدون المشي فيتعذر عليكم، فإذا وجد الأمر كذلك دلّ على نبوته، لكون هذا المنع على هذا الوجه ناقضاً للعادة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن تيمية: "لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين. فإن كانوا قادرين ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم، لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد، كإحداث غير المعتاد فهذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقاً للعادة على تقدير النقيضين، للنفي والإثبات فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر"<sup>(٤)</sup>.

١- الخطابي، ٢٣.

٢- الرماني، ١١٠.

٣- عبد الجبار، المغني ٢١٩/١٦.

٤- ابن تيمية، ٧٦/٤.

وقال الماوردي في سياق حديثه عن الصرفة: "فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد منها معجزاً، فإذا جمع القرآن سائرهما كان إعجازه أقهر، وحججه أظهر، وصار كفلق البحر وإحياء الموتى، لأن مدار الحجة في المعجزة إيجاد ما يستطيع الخلق مثله كان جسماً مخترعاً أو جرماً مبتدعاً أو عرضاً متوهماً"<sup>(١)</sup>.

ويتحدث المجلسي من الشيعة ت ١١١١ هـ عن إعجاز الصرفة والنظم، فقال: "وأبي الأمرين ثبت صحّت نبوته عليه السلام لأن الله تعالى لا يصدق كاذباً ولا يخرق العادة لمبطل"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير: "وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق الصرفة بشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال: إن كان هذا القرآن معجزاً في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب. وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلاً على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن ذكر ابن جزى أوجه الإعجاز ومنها الصرفة، قال: "والإعجاز حاصل على الوجهين"<sup>(٤)</sup>.

وقال الرماني: "القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة"<sup>(٥)</sup>.

وقال الجويني: "وهو أبلغ عندي من قلب العصا حية، ونحوه"<sup>(٦)</sup>.

١- الماوردي، ٧٣.

٢- المجلسي، ١٢٢/٨٩.

٣- ابن كثير، التفسير، ٦١/١.

٤- ابن جزى، ٤١/١.

٥- الرماني، ١١٠.

٦- الجويني، ٧٣.

وقال الغزالي: "وصرفهم عن المعارضة من أعظم المعجزات"<sup>(١)</sup>.  
وقال الأصفهاني: "وأبي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن  
معارضة مصروفة في الباطن عنها"<sup>(٢)</sup>.

---

١- الغزالي، ١٣٠.

٢- السيوطي، الإتيقان ١/١٠٣، معترك الأقران، ٦.

## المطلب الثاني

### أوجه القول بالصرفة وتعدد مفاهيمها

عند تعريفي للصرفة اصطلاحاً، أعرضت عن تعاريف كثيرة، وأتيت بتعريف مقتضب، يبعد ما تشابك بين العلماء، ويقرب المفهوم العام للصرفة، أو الحدّ المشترك بين الصرّفيين، وعند انتقالني لهذا المطلب، تتضح أهمية ضرب تلك التعاريف جانباً. فالباحث المتعمق يرى بأم عينه، تلك المفاهيم المتنوعة في الصرّفة، أو تلك الأوجه التي آمن بها كل صرّفيّ، فقليل تلك صرّفة النظام، وصرّفة الجاحظ تختلف عنها وتلك صرّفة مغايرة..، وهكذا.

فرأيت أن أفرد مطلباً أوضح فيه تلك الأوجه التي قيلت في الصرّفة. وسأجتهد قدر الاستطاعة أن أنسب كل صرّفة لصارفها.

#### الوجه الأول: صرف الهمم عن المعارضة<sup>(١)</sup>.

وهذا قول قاله الرماني، قال: "وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز"<sup>(٢)</sup>

#### الوجه الثاني: صرف الدواعي، وهو المنع عن المعارضة<sup>(٣)</sup>.

وهذا قول قاله الشهرستاني عن بعض أصحاب أبي الحسن الأشعري<sup>(٤)</sup>.

وحكاه ابن تيمية عن بعض أهل الكلام، ذكر عنهم: "معجز بصرّف الدواعي مع قيام الموجب له"<sup>(٥)</sup>.

---

١- الرماني، ١١٠.

٢- المصدر السابق، ١١٠.

٣- الشهرستاني، ١/١٠٣.

٤- المصدر السابق، ١/١٠٣.

٥- ابن تيمية ٤/٧٥.

الوجه الثالث: الصرف عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم<sup>(١)</sup>.

وقال الماوردي: "والقول الثاني: إنهم صرفوا عن المعارضة مع دخولهم في مقدورهم"<sup>(٢)</sup>.  
وقال الغزالي: "وإن فرض وجود القدرة فقد داعيتهم وصرفهم عن المعارضة من أعظم المعجزات"<sup>(٣)</sup>

ومثل الغزالي بمثال: لو قال نبي آية صدقي أني في هذا اليوم أحرك أصبعي ولا يقدر أحد من البشر على معارضتي، فلم يعارضه أحد في ذلك اليوم، ثبت صدقه وكان فقد قدرتهم على الحركة مع سلامة الأعضاء من أعظم المعجزات<sup>(٤)</sup>.  
وقال الجويني: "ممنوعون عن مثل ما هو من مقدوره"<sup>(٥)</sup>.

الوجه الرابع: صرفة مبهمة غير مفسرة، ولعلها تعني المنع<sup>(٦)</sup>.

قال الجاحظ: "وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول ﷺ بنظمه"<sup>(٧)</sup>.  
الجاحظ كان دقيقاً في مسألة الصرفة، وأما التحليلات التي مرت معنا عن صرفته، فهذا دليل أنها لم تكن واضحة. وكل ما قاله هو: أنهم صرفوا. كيف؟ لا يقطع بجواب، وترك التحليل لمن بعده.

الوجه الخامس: سلبهم العلم بكيفية نظمه وفصاحته<sup>(٨)</sup>.

١- الماوردي، ٧٣، الغزالي، ١٣٠، الجويني، ٧٣

٢- الماوردي ٧٣.

٣- الغزالي، ١٣٠.

٤- الغزالي، ١٣٠.

٥- الجويني، ٧٣.

٦- الجاحظ، الحيوان ٤/ ٨٩.

٧- المصدر السابق، ٤/ ٨٩.

٨- المجلسي، ٨٩/ ١٢٧.

وهو قول الشريف المرتضى من الشيعة. قال: "وجه الإعجاز في القرآن أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم بكيفية نظمه، وفصاحته، وقد كانوا لولا هذا الصرف قادرين على المعارضة، متمكنين منها"<sup>(١)</sup>.  
وهو قول ابن سنان الخفاجي<sup>(٢)</sup>.

#### الوجه السادس: سلب العقول<sup>(٣)</sup>.

فسر الزركشي والسيوطي صرفة النظام: أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدوراً لهم<sup>(٤)</sup>.

#### الوجه السابع: شبه الآفة اعترضتهم<sup>(٥)</sup>.

قال الجرجاني في توضيح سبب منع العرب عن الإتيان بمثل القرآن: "ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم لأنهم لا يستطيعون مثله، ولكن وجدوا في أنفسهم شبه الآفة والعارض يعرض للإنسان فيمنعه بعض ما كان سهلاً عليه"<sup>(٦)</sup>.

#### الوجه الثامن: صرفة النظام.

---

١- المصدر السابق، ١٢٧/٨٩.

٢- الخفاجي، ٩٢.

٣- الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ٩٣/٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٩٨٠، ٣، دار الفكر، بيروت. السيوطي، الإتيان ١/١٥١.

٤- الزركشي، ٩٣/٢، السيوطي، الإتيان ١/١٥١.

٥- الجرجاني، الرسالة الشافية ١٥٢.

٦- المصدر السابق، ١٥٢.

صرفة النظام محل أخذ وردّ وتزيد، أذكر المتفق عليه ثم المختلف فيه، أما المتفق عليه:  
"كان يجوز أن يقدروا عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"<sup>(١)</sup>  
وقال الشهرستاني عن صرفة النظام: "قوله في إعجاز القرآن: "صرف الدواعي عن  
المعارضة ومنع العرب من الاهتمام به جبراً وتعجيزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن  
يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً"<sup>(٢)</sup>.  
والمختلف فيه عن النظام، ما قاله البغدادي:  
"إن الناس قادرون على مثل القرآن وعلى ما هو أبلغ منه في الفصاحة والنظم"<sup>(٣)</sup>.  
وما نقله الزركشي والسيوطي: "سلبهم عقولهم وكان مقدورا لهم"<sup>(٤)</sup>.

---

١- الأشعري، ١/٥٦.

٢- الشهرستاني، ١/٥٧.

٣- البغدادي، الفرق، ١٤٣، أصول الدين، ١٨٤.

٤- الزركشي، ٢/٩٣، السيوطي، الإتيقان، ١/١٥١.

## المطلب الثالث

### أدلة القول بالصرفة

#### ١. الصرفة ظاهرة للعقول.

قال الرماني: القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر فيها للعقول<sup>(١)</sup>.

#### ٢. قوله تعالى ﴿ولو نشاء لقلنا مثل هذا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الدكتور المرسي: "اغتر بقول الكفار، في الآية بعض جماعات المعتزلة التي ظهرت في القرن الثالث الهجري،....، فزعم بعض العقلانيين أنّ فصحاء العرب كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولكن الله صرف قلوبهم عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذي قاله المرسي، لم أجده عند معتزلي ولا غيره، ولا أدري أهو اجتهاد منه أم ماذا؟

٣. من قدر على نظم كلمتين بديعيتين قدر على نظم مثلها، حتى السورة. فامتنع بسبب الصرفة.

"فلم زعمتم أنّ البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات، وتصرفهم في أجناس الفصاحات، وهلا قلتم من قدر على هذه الوجوه البديعة بوجه من هذه الطرق الغريبة، كان مثل نظم القرآن قادراً، وإنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف أو يمنعه من الإتيان بمثله، ضرباً من المنع أو تقصر دواعيه إليه دونه مع قدرته عليه. ليتكامل ما

١- الرماني، ١١٠.

٢- سورة الأنفال: ٣١.

٣- المرسي، ١٢٩، ١٢٨.

أراد الله من الدلالة، ويحصل ما قصده من إيجاد الحجّة، لأنّ من قدر على نظم كلمتين بديعتين، لم يعجز عن نظم مثلها، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى، وكذلك الثالثة، حتى يتكامل قدر الآية والسورة"<sup>(١)</sup>.

ويوضح الأصفهاني هذا المفهوم، فيقول: "فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمنون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن وعجزهم عن الإتيان بمثله، ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الألباب أنّ صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك. وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضة مصروفة في الباطن عنها"<sup>(٢)</sup>.  
٤. عجز الفصحاء البلغاء أن يأتوا بمثله.

وقال الأصفهاني: "وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضة مصروفة في الباطن عنها"<sup>(٣)</sup>.

---

١- الباقلائي، إعجاز القرآن، ٢٩.

٢- السيوطي، الإتيان، ١٥٣/١، معترك الأقران ١/٦.

٣- السيوطي، الإتيان ١٠٣/١، معترك الأقران، ٦.

## المطلب الرابع

### أدلة نقض الصرفة

#### ١. الصرفة لا يقول بها عاقل<sup>(١)</sup>

اعتبر الجرجاني ٤٧١هـ، القول بالصرفة لتوهم التحدي، كان بمعاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، " لأن في القول بالصرفة بها على غير هذا الوجه أموراً شنيعة، يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها"<sup>(٢)</sup>.

ويفسر عبد الجبار عدم العقلانية في الصرفة فيقول: "فإن قلت: إن دواعيهم، وإن توفرت، فإنه تعالى صرفهم عن ذلك بجنس من الدواعي، فهذا يوجب إثبات ما لا يعقل من الدواعي"<sup>(٣)</sup>.

#### ٢. القول بالصرفة يعني أن العرب تراجمت في البلاغة والبيان وهذا ما لم يتم<sup>(٤)</sup>

قال الجرجاني: " ويلزم عليه أن يكون العرب قد تراجمت حالها في البلاغة والبيان، وفي جودة النظم وشر اللفظ. وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم، وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون، وأن تكون أشعارهم التي قالوها، والخطب التي قاموا بها - وكل كلام اختلفوا فيه من بعد أن أوحى إلى النبي ﷺ وتحذوا إلى معارضة القرآن - قاصرة عما سمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد، وأن يكون قد ضاق عليهم في الجملة مجال قد كان يتسع لهم، ونضبت عنهم موارد قد كانت تغزر، وخذلتهم قوى قد كانوا يصلون بها"<sup>(٥)</sup>.

١- ينظر: الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٤٦.

٢- المصدر السابق، ١٤٦.

٣- الهمداني، المغني ١٦/٢٢٠.

٤- ينظر: الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٤٦.

٥- المصدر السابق، ١٤٦.

وكذلك أيضاً يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه<sup>(١)</sup>.

٣. لو حدث النقصان على العرب في الفصاحة دون أن يشعروا لما قامت عليهم حجة<sup>(٢)</sup>.

قال الجرجاني: "فإن قالوا: إنه نقصان حدث في فصاحتهم من غير أن يشعروا به. قيل لهم: فإن كان الأمر كذلك فلم تقم عليهم حجة، لأنه لا فرق بين أن يكونوا قد عدموا شيئاً من الفصاحة التي كانوا يعرفونها لأنفسهم قبل التحدي بالقرآن والدعاء إلى معارضته، وبين أن يكونوا قد عدموا ذلك ثم لم يعلموا أنهم قد عدموه"<sup>(٣)</sup>.

ويناقش الجرجاني هذا الادعاء، "فهم يزعمون أن الآية كانت بالمنع من نظم ولفظ، وقد كان لهم ممكناً قبل أن تحدوا"<sup>(٤)</sup>.

ثم يدحض الجرجاني حججهم، فيقول: "ولا يكون منع حتى يرام الممنوع، ولا يتصور أن يروم الإنسان الشيء ولا يعلمه"<sup>(٥)</sup>.

ويشدد نقاش الجرجاني لهذه الحجة ويبلغ الذروة بقوله: "وإذا جعلناهم لا يعلمون أن كلامهم الذي يتكلمون به اليوم قاصر عن الذي تكلموا به أمس، وقد امتنع عليهم في النظم شيء أكان يواتيهم، وسلبوا معنى قد كان لهم حاصلًا، استحال أن يعلموا أن لنظم القرآن فضلاً على كلامهم الذي يسمع منهم، وعلى النظم الظاهر الباقي لهم، ذلك لأن عذر القائل بالصرفة أن كلامهم قبل أن تحدوا قد كان مثل نظم القرآن، وموازيًا له في مبلغه من الفصاحة"<sup>(٦)</sup>.

١- ابن تيمية، ٤/ ٧٧.

٢- ينظر: الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٤٧.

٣- المصدر السابق، ١٤٧.

٤- المصدر السابق، ١٤٧.

٥- المصدر السابق، ١٤٧.

٦- المصدر السابق، ١٤٧.

ويدمغ الجرجاني الحجة بالحجة، فيقول: "وإذا كان كذلك لم يتصور أن يعلموا أن للقرآن  
مزية على كلامهم، وعندهم أن كلامهم باق على ما كان عليه في القديم، لم ينقص ولم يدخله  
خلل، وإذا لم يتصور أن يعلموا أن للقرآن مزية على ما يقولونه ويقدرّون عليه في الرتب، لم  
يتصور أن يحاولوا تلك المزية، وإذا لم يحاولوها لم يحسوا بالمنع منها والعجز عن نيلها"<sup>(١)</sup>.

٥. لو منعت العرب منزلة من الفصاحة لعلموا ذلك من أنفسهم"<sup>(٢)</sup>.

وقال الجرجاني ويلزمهم: "إن كانت العرب منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها، أن  
يعرفوا ذلك من أنفسهم...، ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك، ولكانوا قالوا  
للنبي ﷺ: إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا واحتلت في شيء حال  
بيننا وبينه... وكان أقل ما يجب أن يتذكروه فيما بينهم"<sup>(٣)</sup>.

ولما لم يقولوا مثل ذلك ولم يرووه لا ما قلّ ولا أكثر، فهو "دليل فاسد، ورأي ليس من آراء  
ذوي التحصيل"<sup>(٤)</sup>.

٥. نقاش مسألة منع القدرة، وبيان خطئها"<sup>(٥)</sup>.

ويناقش الجرجاني مسألة منع القدرة عن الإتيان بمثل القرآن، بقوله عن آية التحدي: "لا  
يقال عن الشيء يمنعه الإنسان بعد القدرة عليه، وبعد أن كان يكثر مثله منه، إني قد جئتم  
بها لا تقدرّون على مثله، ولو احتشدتم له ودعوتم الإنس والجن إلى نصر-تكم فيه، وإنما  
يقال: إني أعطيت أن أحول بينكم وبين كلام كتتم تستطيعونه وأمنعكم إياه، وأن أفحمكم  
عن القول البليغ، وأعدمكم اللفظ الشريف"<sup>(٦)</sup>.

١- المصدر السابق، ١٤٧.

٢- المصدر السابق، ١٤٨.

٣- المصدر السابق، ١٤٩.

٤- المصدر السابق، ١٤٩.

٥- ينظر: المصدر السابق، ١٤٩.

٦- المصدر السابق، ١٤٩.

## ٦. آية التحدي والحشد للأفراد والجماعات<sup>(١)</sup>

قال الخطابي: " دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذه القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾<sup>(٢)</sup> فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدلّ على أن المراد غيرها. والله أعلم"<sup>(٣)</sup>.  
وشرح الجرجاني وجه الدلالة بعبارة أوضح فقال: "ليس في العرف، ولا في المعقول أن يقال: لو تعاضدتم واجتمعتم وجمعتم لم تقدروا عليه، في شيء قد كان الواحد منهم يقدر على مثله، ويسهل عليه، ويستقل به ثم يمنعون منه. وإنما يقال ذلك حيث يراد أن يقال إنكم لم تستطيعوا مثله قط، ولا تستطيعونه البتة على وجه من الوجوه"<sup>(٤)</sup>.  
وأوضح الزركشي وجه الاستدلال بالآية فقال: والقول فاسد بدليل الآية ﴿ قل لئن اجتمعت... ﴾

" ١. فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم.

٢. ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلة منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره"<sup>(٥)</sup>.

وأوضح منه قول د. أبو موسى: "لأنّ الله لو كان قد سلبهم القوى لما ذكر تساندهم، وتعاونهم وتظاهرهم، لأن المفرغين من الطاقة المؤثرة لا يكون لاجتماعهم أثر، وألف أعمى

١- ينظر: المصدر السابق، ١٤٩.

٢- سورة الإسراء: ٨٨.

٣- الخطابي، ٢٣.

٤- الجرجاني، ١٤٩.

٥- الزركشي، ٩٤/٢، ونقله عنه السيوطي، الإتيان ١/١٥١.

لا يهدون أعمى، وألف ميت لا يعينون ميتاً، وهذا الوجه لقوته تناقله أهل العلم، وشاع في الكتب، ولم أقرأ من فطن إلى دفع الصرفة بهذا الوجه قبل الخطابي<sup>(١)</sup>.

ولم يترك الجرجاني حجة قال بها الصرفيون إلا أخذ عليهم ما يبطلها، فإذا زعم الصرفيون أن التحدي كان أن يأتوا في أنفس معاني القرآن بمثل نظمه ولفظه وما الذي دلّ على فساده، فيجيب الجرجاني على ذلك: "فإن على فساد ذلك أدلة منها قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾<sup>(٢)</sup>.

....، إن كنتم ترعمون أي قد وضعت القرآن وافتريته، وجئت به من عند نفسي، ثم زعمت أنه وحي من الله، فضعوا عشر سور وافتروا معانيها<sup>(٣)</sup>.

والعرب يدركون معنى التحدي بالفصاحة وليس غريباً عليهم. قال عبد الجبار: "ولا يجوز في العرب أن تنصرف في هذا الباب، عن الطريقة المعتادة لهم، في التحدي إلى طريقة غير معتادة، لأنهم قد عرفوا أن المنازعة والمباراة، في سائر الكلام، كيف تقع"<sup>(٤)</sup>.

ويختتم الجرجاني نقاشه لتلك الأدلة: "أن القول بالصرفة - ولا سيما على هذا الوجه - قول في غاية البعد والتهافت، وأنه من جنس ما لا يعذر العاقل في اعتقاده"<sup>(٥)</sup>.

٧. إذا صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم فلماذا لم يأتوا بمعاني شبيهة به.<sup>(٦)</sup>

العرب وصفوا القرآن الكريم بأوصاف اشتهرت فقالوا إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، قال الجرجاني: "بل الواجب أن يقولوا: إن كنا لا يتهيأ القول لنا أن نقول في معاني ما جئت به ما

١- أبو موسى، ٣٦٦.

٢- سورة هود:

٣- الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٥٠.

٤- الهمداني، المغني، ٩/٢٨٢، ٢٨١.

٥- الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٥٠، ١٤٩.

٦- ينظر: المصدر السابق ١٥٢، ١٥١.

يشبهه، إنما نأتيك في غيره من المعاني بما شئت وكيف شئت، بما لا يقصر- عنه ولا يكون  
دونه"<sup>(١)</sup>.

٨. لو كان المنع عن الإتيان بمثل القرآن للصرفة، لتعجب العرب من الصرفة لا من القرآن،  
وهذا ما لم يتم<sup>(٢)</sup>.

فالعرب تعجبوا من القرآن نفسه، لا من أي أمر خارج عنه. قال الجرجاني: "فينبغي إذا  
تعجب المتعجب وأكبر المكابر أن يقصد بتعجبه وإكباره إلى المنع الذي فيه الآية والبرهان لا  
إلى الممنوع منه"<sup>(٣)</sup>.

لو كان من أجل أنّ الله تعالى عجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين  
لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم<sup>(٤)</sup>.

٩. لا يصح في إثبات الصرفة نظر ولا خبر<sup>(٥)</sup>.

"فإن قالوا من نظر، قيل لهم كأنكم تعنون أنكم نظرتم في نظم القرآن، ونظم كلام العرب،  
ووازنتم، فوجدتموه لا يزيد إلا بالقدر الذي لو خلوا والاجتهاد وإعمال الفكر، لم تفرق  
عنهم خواطره عند القصد إليه...، فإن قالوا: كذلك نقول. قيل لهم: فأنتم تدعون الآن أن  
نظركم في الفصاحة نظر لا يغيب عنه شيء من أمرها،...."<sup>(٦)</sup>  
ومراده أن يقول لهم فهاتوا أنتم معارضتكم.

١- المصدر السابق، ١٥٢.

٢- ينظر الجرجاني، الرسالة الشافية ١٥٢، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ٣٩١، قرأه  
وعلق عليه، محمود شاكر، مكتبة الخانجي، بلا تاريخ، القاهرة.

٣- الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٥٢.

٤- ابن القيم، ٢٥٢.

٥- الجرجاني، الرسالة الشافية، ١٥٥.

٦- المصدر السابق، ١٥٥.

"وإن قالوا: عرفنا ذلك بخبر، قيل فهاتوا عرفونا ذلك، وأتى لهم تعريف ما يكن وتثبيت ما لم يوجد<sup>(١)</sup>.

١٠. لم يتعذر الكلام على فصحاء العرب في زمان النبي ﷺ.

قال عبد الجبار المعتزلي: "وقد علمنا أن من كان في زمانه ﷺ، من الفصحاء لم يتعذر الكلام عليهم فلا يصح أن يقال: إنهم اختصوا بمنع، وبأن هو عليه السلام، منهم بالتخلية<sup>(٢)</sup>. وقال: لا يجوز أن يكونوا ممنوعين من الكلام، بأن دللنا على أن المنع والعجز لا يختص كلاماً دون كلام، وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم لما أمكنهم الكلام المعتاد، والمعلوم من حالهم خلاف ذلك<sup>(٣)</sup>.

١١. لو كانت الصرفة بسلب العلوم لكان الإعجاز لفقد العلم لا للوجه التي ذكروها<sup>(٤)</sup>. قال عبد الجبار: "فإن قال امتنع عليهم ذلك، بأن أعدمهم الله تعالى العلوم، التي معها يمكن الكلام الفصيح، فصار ذلك ممتنعاً عليهم، لفقد العلم، لا للوجه التي ذكروها<sup>(٥)</sup>. ويتساءل عبد الجبار سؤال الواثق من الجواب حول هذا الادعاء فيقول: "قيل له: لست تخلو فيما ادعيت من وجهين:

إما أن تقول: قد كان ذلك القدر من العلم حاصلًا من قبل معتادًا، فمنعوا منه عند ظهور القرآن.

وإما أن تقول: إن المنع من ذلك مستمر غير متجدد، وأنهم لم يختصوا، ولا من تقدمهم بهذا العلم.

١- المصدر السابق، ١٥٥.

٢- الهمداني، المغني، ١٦/٢١٨.

٣- المصدر السابق، ١٦/٣٢٢.

٤- الهمداني، ١٦/٣٢٢، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٣٩١.

٥- الهمداني، ١٦/٢١٨.

فإن أردت الوجه الأول فقد كان يجب أن يكون قدر القرآن في الفصاحة قد جرت به العادة من قبل، وإنما منعوا من مثله في المستقبل، ولو كان كذلك لم يكن المعجز، هو القرآن، لكونه مساوياً لكلامهم، ولتمكنهم من قبل، من فعل مثله، في قدر الفصاحة، وإنما يكون المعجز ما حدث منهم، من المنع، فكان التحدي يجب أن يقع بذلك المنع، لا بالقرآن، حتى لو لم ينزل الله تعالى القرآن، ولم يظهر أصلاً، وجعل دليل نبوته امتناع الكلام عليهم، على الوجه الذي اعتادوه، لكان وجه الإعجاز لا يختلف، وهذا مما نعلم بطلانه، باضطرار، لأنه عليه السلام، تحدى بالقرآن وجعله العمدة في هذا الباب<sup>(١)</sup>.

ويرد عبد الجبار على الفرض الثاني، بأننا نجعل للقرآن مزية في الفصاحة من حيث يحتاج إلى قدر من العلم لم تجر العادة بمثله...<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو موسى: "ولا أدري المراد بهذه العلوم التي يحتاج إليها في بناء الكلام الفصيح؟ وه كانت للعرب علوم تعينهم على بلاغة الكلام؟ أم أنه لم يكن لديهم إلا سلائق أنفسهم وصحة طباعهم تمدهم بما شاءوا من البيان"<sup>(٣)</sup>.

١٢. لو كان الصرف بالإعجاز كانت الصرفة هي الإعجاز وليس القرآن وهذا واضح البطلان.

قال الباقلاني: "ومما يبطل ما ذكره من القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه"<sup>(٤)</sup>.

وقال عبد الجبار: "هذا الوجه لو صح لم يوجب كون القرآن معجزاً، وكان يجب أن يكون المعجز منهم، من فعله"<sup>(٥)</sup>.

١- المصدر السابق ١٦/٢١٩.

٢- ينظر: المصدر السابق ١٦/٢٢٠، ٢١٩.

٣- أبو موسى، ٣٧١.

٤- الباقلاني، إعجاز، ٣٠.

وقال: " ومن سلك هذا المسلك في القرآن يلزمه أن لا يجعل له مزية البتة، على أن ذلك يبطل بعض القرآن، لأنه تعالى قال: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾<sup>(٣)</sup> ولو كان الوجه الذي له تعذر عليهم، المنع لم يصح ذلك، لأنه لا يقال في الجماعة، إذا امتنع عليها الشيء: إن بعضها يكون ظهيراً لبعض، لأن المعاونة والمظاهرة إنما تكون مع القدرة، ولا تصح مع العجز والمنع، وهذا يبين أنهم لو كانوا قادرين متمكنين لما أمكنهم أن يأتوا بمثله، ولا يكون كذلك إلا لمزية القرآن<sup>(٤)</sup>.

١٣ . إبطال القول: لو أنهم لم يصر فوا لأتوا بمثل القرآن.

وهو القول: لولا صرف هممهم ودواعيهم عن المعارضة، لأتوا بمثل القرآن الكريم. قال عبد الجبار: "ومن أين أنهم بهذه الصفة، دون أن يكونوا عدلوا إلى المحاربة، مع توفير الدواعي إلى مثله، لو كان في مقدورهم، لكنهم علموا أن ذلك لا يواتيهم، وضاق به ذرعهم، فعدلوا إلى الطريقة الممكنة لهم"<sup>(٥)</sup>.

١٤ . نقض القول: إن قدر البليغ على مثله قبل التحدي، فبعده لم يقدر فيعني أنه مصروف. ومن قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلها.

والجواب: أنه لو صح ذلك لكان لك لمن أمكنه نظم ربيع بيت، أو مصراع من بيت أو ينظم القصائد ويقول الأشعار وضح لكل ناطق وقد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة، ومعلوم أن ذلك غير سائغ ولا ممكن<sup>(٥)</sup>.

١- الهمداني، المغني، ١٦/٣٢٢.

٢- سورة الإسراء: ٨٨.

٣- الهمداني، المغني، ١٦/٣٢٣.

٤- المصدر السابق، ١٦/٣٢٣.

٥- المصدر السابق، ٢٩.

ولو كان كلامهم مقارباً في الفصاحة قبل التحدي لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولكان الفرق بين كلامهم بعد التحدي وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدي وبين القرآن. ولما لم يكن كذلك بطل ذلك<sup>(١)</sup>.

على أنه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه، ولم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجب الرصف. لأنهم لم يتحدوا إليه ولم تلزمهم الحجة، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله، علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان<sup>(٢)</sup>.

#### ١٥. الكلام المعجز لا يطمع فيه.

قال الباقلاني: " وفيه معنى وهو أنّ أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاماً مطمئناً لم يخف عليهم ولم يشتهه لديهم. ومن كان متناهيّاً في فصاحته لم يجز أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال<sup>(٣)</sup>.

#### ١٦. القول: إن العرب صرفوا افتراض لم يقله العرب.

فلو كانوا مصروفين عنه لقالوا: وما في هذا مما نعظم وهذا مقدور لنا، وإنما صرفنا عنه. ولو نظموا مثله قبل مجيئه ثم قالوا هذا مثل نظمنا وإنما صرفنا عنه، فلما لم يقولوا ذلك دلّ على أنهم لم يقدرُوا عليه<sup>(١)</sup>.

---

١- ابن القيم، ٢٥٢.

٢- الباقلاني، إعجاز، ٣٠.

٣- المصدر السابق، ٣٠.

١٧. الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن الكريم، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة الإعجاز.<sup>(١)</sup>

١٨. يلزم القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي، وهذا بطل. فمعجزة الرسول ﷺ العظمى باقية، ولا معجزة له ﷺ باقية سوى القرآن<sup>(٢)</sup>.

١٩. نقض القول إن العرب صرفوا بأن نسوا صيغ الكلام.

إن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل، ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدي، فبطل أن يكون الإعجاز بالصرف بل الإعجاز ليس بالصرف<sup>(٣)</sup>.

٢٠. القول بالصرفة يعد كقول الكفار إن القرآن سحر.

قال الرافعي: وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب ﴿إن هو إلا سحر يؤثر﴾ وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القول به ضرباً من العمى ﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾<sup>(٤)</sup> فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد<sup>(٥)</sup>.

ووجه المماثلة بين السحر والصرفة أن الامتناع عن المماثلة بين الإتيان بالسحر والإتيان بمثل القرآن، أن الأمر خارج منهما، وليس لذاتها، فالسحر سحرٌ لأمر خارج عنه لأن حقيقته ليست فيه، وكذلك القول بالصرفة إذا طبقت على القرآن الكريم، صرف لأمر خارج عنه وليس لذاته.

---

١- الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، نكت الانتصار لنقل القرآن، ٢٨٩، ٢٨٨، تحقيق د. محمد زغلول سلام، بلا تاريخ، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٢- الجرجاني، دلائل، ٣٩٠، الزركشي، ٩٤/٢، القرطبي، ٧٥/١، السيوطي، ١٥١/١.

٣- الزركشي، ٩٤/٢.

٤- ابن القيم، ٢٥٢.

٥- سورة الطور: ١٥.

٦- الرافعي، ١٤٦.

٢١. ولو أنّ القرآن الكريم جاء معتمداً على هذا الإعجاز الحسي لما كان لمجيئه على تلك الصورة الكلامية ولا على هذا الامتداد الطويل. ولصرف الله العرب عن شيء يسير وانتهى الأمر وثبت الإعجاز<sup>(١)</sup>.

٢٢. القول بالصرفه عبث تنزه الله عنه. والقول بأن القوم منعوا عن المعارضة جبراً وتعجيزاً ثم تحدوا بالمعارضة في الوقت ذاته، فهذا عبث تنزه الله تعالى عنه<sup>(٢)</sup>.

---

١- الخطيب، ٣٦٦.

٢- عمار، ٧٧، عامر، ٣١.

## المطلب الخامس

### إيجابيات القول بالصرفة

ذكر بعض العلماء في أثناء حديثهم عن الصرفة جوانب إيجابية لها، ومنهم من اعتبر إيجابياتها سلبيات، ولكل وجهة نظر، وفي هذا المطلب أذكر الآراء كما وردت. أدت الصرفة إلى إنشاء علوم البلاغة في ظل القرآن، فاتجه الكاتبون إلى بيان أسرار البلاغة في هذا الكتاب الميمن المنزل من عند الله الحكيم قرآناً عربياً، فكان هذا الباطل سبباً في خير كثير<sup>(١)</sup>.

وهب الجميع بالرد على مذهب الصرفة والدفاع عن النظم القرآني ومثل المعتزلة الجاحظ ت ٢٥٦ هـ، ومثل السنة ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ، وتمخض دفاعهما عن مسائل بلاغية وآراء في البيان العربي وإبراز ما فيه<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من غرابة هذا القول - الصرفة - وشدوده، فإن فيه تشيظاً لهمة كل من تحدته نفسه بمعارضة القرآن، لأنه ممنوع بقدره إلهية لا يستطيع أن يتخطاها أو يتغلب عليها، فتبقى بذلك المعجزة الإلهية الخالدة مصونة لا يستطيع معارضتها أحد<sup>(٣)</sup>. والصرفة التي أوقعت في شبهة إعجاز القرآن البلاغي، التف إليها "أعلام المعتزلة أنفسهم، فجهدوا في تقرير وجه إعجاز فصاحته - القرآن - ونظمه وتجردوا للاحتجاج له<sup>(٤)</sup>.

---

١- أبو زهرة، ٨٥.

٢- عرفة، ١٥٠.

٣- عمار، ٥٢.

٤- بنت الشاطيء، ٨٣.

## المطلب السادس

### سلبيات القول بالصرفة

ولولا احتجاج هذا البليغ - النظام - بها لصحته، وقيامه عليه...، لكان لنا اليوم كتب ممتعة في بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه اللغوي وما إلى ذلك<sup>(١)</sup>.  
أثمهم القرآن الكريم بأنه ليس في ذروة من البلاغة والفصاحة، والإعجاز ليس من صفاته الذاتية، وأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شئ في بلاغته<sup>(٢)</sup>.  
فتح الباب واسعاً للطعن في بلاغة القرآن، وهل كان لأهل الزيغ مطمع في أكثر من هذا القول<sup>(٣)</sup>.  
أوقع في شبهة أن إعجاز القرآن البلاغي غير معتبر<sup>(٤)</sup>.

---

١- الرافي، ١٤٦.

٢- ينظر: أبو زهرة، ٧٩.

٣- ينظر: عمار، ٧٦.

٤- ينظر: بنت الشاطي، ٨٣.

## خاتمة البحث

وبعد أن انتهيت من تلك البحوث الصرفية، وختمت تلك الفصول، آن أن أصل إلى خاتمة الحديث، ونهاية الكلام، في هذا الموضوع الشائك، الذي تكاد الصرفة فيه أن تكون على طرف اللسان وباب الثمام، فيأتي صارف يصرفها. ثم أراها مرة أخرى منهكة الجراح، لا تقوى على حراك.

وفي بحثي هذا، عدت إلى المراجع الأصلية لأصحابها، ولم أكتف بما نقله المعاصرون، وهذا كلفني جهداً كبيراً، وقراءة مئات الصفحات.

وفي هذه الخاتمة أخلص النتائج التي توصلت إليها:

١. حصرت تعريف الصرفة اصطلاحياً بما هو متفق عليه. وبينت أهمية ذلك في دراسة مفاهيم الصرفة عند القائلين بها.

٣. بينت أوجه الصرفة عند العلماء وأسندت كل مفهوم لصاحبه، فكانت عندي، ثمانية أوجه، ربما تداخل بعضها، ولكني جعلته ثمانية، فقد رأيت هذا هو الأوجه.

٤. حققت القول فيمن أول من قال بالصرفة وناقشت الأقوال وانتهيت إلى الصواب منها، وهو النظام.

٥. بينت دوافع الصرفة وأسباب القول بها.

٦. أبدت وجهة نظري الخاصة وترجيحي في صرفة الجاحظ، وأتيت على رأي القاضي عبد الجبار في الصرفة، وأدعي أنني درست كتابه المغني دراسة معمقة.

٧. وأبدت رأبي في الصرفة عند المعتزلة، على ما سردته في ثنايا البحث.

٨. رأيت أن أبدي تنبيهات هامة في صرفة بعض علماء أهل السنة، من جهة تثبيت قولهم ومن جهة مناقشة ذلك، فأبدت وجهة نظري في نقول بعض الكتاب المعاصرين واستنتاجاتهم.

٩. صنفت أقوال علماء أهل السنة بالصفة تصنيفاً لم أر له مثيلاً من قبل، حسب اطلاعي. وذلك ساعدني على تصنيف الأقوال ودراستها. فكانت أقوالهم ستة أصناف. وأزعم أنّ هذا المطلب من أجود وأخطر ما في الصرفة.
١٠. عرضت أدلة الصرفة كما وردت عند أصحابها، وعرضت أدلة نقضها كما قالها خصومها. وبينت الوجوه السلبية والإيجابية للصفة كما قيلت.
١١. وعلى وجه الإجمال لم أسلم بمقولة دون مناقشتها نقاشاً تستحقه.

## رأي المتواضع في الصرفة

وإن كان لي من رأي لا بدّ من قوله، فأبثه في هذا الموضوع، وإن شُمت رائحة رأيي في ثنايا البحث.

وقبل أن استرسل في عرض رأيي أوضح أي غلبت الموضوعية أيًا كانت نتيجتها، ولم أسلم إلا بالمسلّمات، فأرجو أن أعذر في ذلك، فإن خالف رأيي أحداً له عندنا منزلة، أمل أن يلتبس لي الأعذار. فمنازل أهل العلم لها عندي الذرى.

وإذا أردنا أن نصل إلى النهاية، فعلينا أن نعود إلى البداية، فالعود أحمد، ما السبب الذي دفع الصرفة إلى بحوث الإعجاز القرآني؟ هل هي تلك الشكوك والأوهام التي دارت حول شخصية النظام؟ وهب أننا قلنا: نعم. فما هي الأسباب التي دفعت نفرًا جليلاً من أئمة العلم عند أهل السنة إلى القول بها. لا يباري أحد من الباحثين في جلاله قدر هؤلاء وتقدمهم في العلم ورئاسته. إذن هناك سبب حقيقي كان لتلك المقولة، بغض النظر عن أصل منبعها.

ولعل السبب الحقيقي وراء الصرفة هي تلك الدهشة والجلال للقرآن الكريم، تأخذ آياته بالألباب وينقاد إليه الأحياء والجماد، وتخضع القلوب وتذل الرقاب. واستعصى - على أهل الفصاحة أن يعارضوه. وفي أسوأ حالات نكوصهم عن أثر الذكر الحكيم، جعلوا أصابعهم في آذانهم محاولين منعه من التسلّل إلى قلوبهم، فهو روح تسري، تخرق حجب النفوس الغليظة، وتلج إلى القلوب الفقيهة.

فالقول عندي: إن العرب عمت بصائرهم فصرفت من تلقاء نفسها عن الإتيان بمثل القرآن، لما أوقعته البلاغة القرآنية في نفوسهم، ولقوة التأثير المذهل للقرآن الكريم، فهو يحرك الجماد، وتئن له الجبال وتهتز له الأرض، وتسبح به السماوات. فكيف بتلك القلوب لا تتأثر.

وحسم العرب أمرهم وأدركوا أن الهزيمة لهم محققة إذا ما قبلوا النزال في ميدان التحدي، وذيول الهزيمة سيجرجرون بها في كل محفل.

من الممكن أن يأتوا بكلام فصيح ولكن لا يحمل أي أثر من آثار القرآن، فالمسألة ليست مسألة كلام مصفوف، ولفظ مرصوف، إنما هي تلك الروح التي لهم بها. ومن أين سيأتون بها. وهم الذين مضت بهم أيام الدهر يشققون الكلام، ويبارون الفصحاء، ويفاخرون القبائل، ببضاعتهم النفيسة، وصنعتهم الماهرة، صناعة الكلام، فإذا هي بضاعة مزجاة أمام التنزيل الحكيم.

خجلوا من أنفسهم، القرآن يقرعهم بالتحدي، يتحداهم بالمنازلة الكلامية في سورة بل في آيات، وهم كلما علت نبرة التحدي، واشتد أوار النزال، انكمشوا بخجل وانصرفوا صاغرين، فأين أرباب الفصاحة، وفرسان الكلام، وعمالق البلاغة، الذين تغنوا بالشعر مفخرتهم، والنثر محل كبريائهم؟

لقد كان أثر القرآن البلاغي مزلزلاً لمكانتهم البلاغية، وكان أثره الروحي، عميقاً متغلغلاً في النفوس، فانقادت لسماعه سراً وعلانية. وكلما تعاهدوا على مقاطعته، لاحقهم شعاع النور، فالتمسوه في شعاب مكة خفية، وهذا زعيم بارز من زعمائهم الوليد بن المغيرة يذكر مقالته المشهورة التي تصلح لأن تكون أبلغ إقرار من بليغ موفور السيادة في قومه، حتى عندما أراد التزوير كشفه القرآن.

فقوة التأثير القرآني، جعلت قلوبهم عمية أن يحاولوا الإتيان بمثله، لا لعجز سبق فيهم، بل لعجز تحقق فيهم، فهم مصروفون عن المعارضة في حلبة التحدي، صرفهم القرآن ذاته بقوة نبرته، وكمال أثره، وروعة مبناه، وفصاحة لفظه، فاجتمعت كمالات القرآن العظيم تحتاج العرب، فصعقتهم. واستصغروا أنفسهم فاستكبروا وأخذتهم العزة بالإثم، فجردوا الحسام، وشحدوا النصال، وبروا السنان، في حلبات الصراع الدموي، بعدما فشلوا في ساحة البيان.

فصرفوا مرة أخرى على أعقابهم، بقوة السيف، المدافع عن الحق، كما هزموا بقوة البيان وقهر المعجزة الخالدة.

أما القول بأن الصرفة هي معجزة القرآن أو هي الوجه الحقيقي للإعجاز، فهذا قول متهافت، لا يقوله ذواقه للأدب وأساليب البيان، وهو تجنُّ على القرآن الكريم أيما تجنُّ، وحكم ظالم جائر على البلاغة القرآنية، بل هو القضاء التام على البلاغة العربية قاطبة في كل عصورها ودهورها. ونقض لروحها، نعدر من قالها على وجه الدهشة، والذهول، ومن أين نأتي بعدر لمن سوَّغها لغير ذلك، فنُسَلِّمُ نيته إلى عالم السر والنجوى الجليل الخبير.

ولا أظن أحداً أوتي مسحة من البلاغة والبيان يقول مثل هذا القول ويحصر هذا الحصر، وإن كانت الصرفة التي عنيتها، ذاتية ونتيجة نهائية محسومة في الإعجاز، فهذا صواب، أما ما سوى ذلك، فبحث عن النور في ركाम الظلام. وسعي إلى الماء في السراب.

والقائلون بالصرفة ليس معهم من دليل راشد قوي، غير دليل واحد، هو انبهار العرب بالقرآن وعجزهم عن البيان وهم سادته وأربابه، وفصحاؤه وبلغاؤه.

وخصوم الصرفة لهم أدلة أقواها، هو ذلك التحدي بالحشد والتسديد والجمع من الإنس والجن، على الإتيان بمثله. فلم يستطيعوا، فلا يكون التحدي بالحشد هباءً ولا عبثاً، فهو على محمل الجدِّ والاجتهاد. ولكن هذا أيضاً لا يمنع أن يكون الانبهار مسحوباً على الجماعة كما هو أثره على الأفراد.

وليست قضية التحدي أن يأتوا بكلمة من كلام العرب أفصح من كلمات القرآن، أو بعبارة أبلغ من عباراته، إنما الأمر أن يضارعوا القرآن في كل شيء، بفصاحته وروحه وأثره. ومرة أخرى أكرر أنني لهم ذلك.

﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾<sup>(١)</sup>

تلك آية تتحدى في الخلق، وهذه آية تتحدى بالقرآن ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾<sup>(١)</sup>.

الآية الأولى حشد للإتيان بمثل الخلق فهم عاجزون، والثانية حشد للإتيان بمثل القرآن فهم عاجزون.

وآية أخرى تحبط الذين يحاولون التطاول على البنيان الشاهق ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويحلولي في بيان رأيي بالصرفة، أن نرجع قليلاً إلى أدلة أشد العلماء عداوة للصرفة، ولأعنى خصوصها، الذين نقضوها عقلاً ونقلاً، ولنستعرضهم واحداً تلو الآخر.

لنبدأ بالقاضي عبد الجبار ت ٤١٥ هـ، الذي أجهد نفسه في كتابه المغني عبر صفحات طويلة يرد مقالة الصرفيين، وأجهدني بقراءتها، فبعد أن أنهكه النزال، وأفرغ ما لديه من البيان، وجال بعقله ناقضاً، قال: "واعلم أن الخلاف في هذا الباب، أنا نقول: إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة، لعلمهم بأنها غير ممكنة، على ما دللنا عليه، لأننا نجعل انصراف دواعيهم تابعاً لمعرفتهم بأنها متعذرة، وهم يقولون: إن دواعيهم انصرفت مع التأتى، فلأجل انصراف دواعيهم لم يأتوا بالمعارضة، مع كونها ممكنة، فهذا موضع الخلاف"<sup>(٣)</sup>.

ونثني بأبي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ، الذي خاصم الصرفة وهجا الصرفيين، لنقرأ ما كتبه في كتابه "نكت الانتصار"، قال: "واعلم أننا لم ننكر جواز اقتدارهم على الإتيان بمثله، وجواز اقتدار كل واحد منهم على ذلك، وإنما قلنا إنهم ما تكلموا قط بمثله، ولا يأتي منهم نظيره، ولو نظموا مثله قبل مجيئه ثم قالوا هذا مثل نظمنا وإنما صرفوا عنه، فلما لم يقولوا ذلك، دلّ

١- سورة الإسراء: ٨٨.

٢- سورة البقرة: ٢٤، ٢٣.

٣- الهمداني، المغني، ١٦/٣٢٤.

على أنهم لم يقدرُوا عليه، ولا يقدرُونَ عليه في المستقبل، لما أراد الله تعالى من قيام الحجة وليس هذا منا قول بالصرفة، لأن أصحاب الصرفة يقولون: إنهم قادرُونَ على مثله، وقد تكلموا بمثله ونحن لا نقول ذلك، ولم نرد بإنكار الصرفة أن الله سبحانه يمنع من القدرة على أمر يصح أن يكون مقدوراً عليه"<sup>(١)</sup>.

ما رأيت الباقلاني، أضعف من ضعفه هذا في رد الصرفة، فإن كان العرب لم يقدرُوا على الإتيان بمثله لما أراد الله تعالى من قيام الحجة بكتابه، فأين الإعجاز، وأي خلاف شكلي بين هذا القول وبين الصرفة التي أبتدعُ تسمية لها "صرفة من النوع المعتدل". بمعنى النتيجة النهائية المحسومة للتحدي، وهي أيضاً لا تقدح بالإعجاز القرآني على شتى صورته. إذا أحسنا الظن بالصرفيين، ولا نملك إلا إحسان الظن ببعضهم، فمرادهم منها كان هذا، أو كما يقال: "هذا بيت القصيد". فالعرب لم يقدرُوا على الإتيان بمثله، لأن الله تعالى أراد الحجة على الناس.

ثم يدخل الباقلاني في نقاش مسألة القدرة، فتأتي نتائج نقاشه، تخالف ما أراد منها في رد الصرفة، قال: "إن كثيراً من مثبتي أعلام الرسول يقولون إن معجزات الرسل لا تدخل تحت قُدر العباد، فالجواب ساقط عن هؤلاء. والذي نختاره هو أن المعجز كما قالوا ينفرد به الخالق، والله تعالى خلق العجز في العرب عن الإتيان بمثله، والعجز لا يخلقه إلا الله تعالى وهو سبحانه ما خلق العجز فيهم، وخرق العادة بذلك ومنعهم القدرة على ما لو شاء لأقدرهم عليه إلا لدليل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

ونثقت بالدكتور عمار من المعاصرين، فقد شحنت كتابه بردود تأخذ برقاب بعضها وسفّه الصرفة، وخاض فيها خوضاً متناسقاً، على نفسٍ واحد، ولست هنا بصدد التنبهات التي أبديتها على دراسته، بل على موقفه من الصرفة، فهذا الباحث الجاد المتعمق تميز بسير مطّرد

١- الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ٢٩٠، ٢٨٩.

٢- الباقلاني، نكت على الانتصار ٢٩١.

لا تردد فيه، ولكنه كبا كبوة الجواد في الصرفة، عَلِمَهَا من نفسه، فحاول استدراكها، لكنه لم ينجُ منها. قلت: كان على نَفْسٍ واحد في دحض الصرفة، وعندما وصل الحديث به إلى الفخر الرازي المفسر ت ٦٠٦ هـ، سوَّغ للرازي قوله بالصرفة، ودافع عن صرفته، وذلك في معرض رده على أستاذه أبي موسى، قال: " فالأمر يختلف تماماً، والاستشهاد ليس في مكانه ولا في موضعه، فالفخر الرازي قصد دفع الشبهة، وقطع سبيل التطرق بالتهمة في أمر قد يدق فهمه، ويغمض أمره على من لا دراية لهم بأسرار اللغة، وجمال التعبير، .."<sup>(١)</sup> فهل هذا التعليل من د. عمار يعد مقبولاً، وإذا قبلناه، فماذا يعني من رجل هاجم الصرفة، وناطحها، إلى أن أنهكها النطاح.

أما استدراك د. عمار على نفسه بعدما وقع فيما وقع فيه، وهو قوله بعد أسطر: "كما لا أوافق الرازي أيضاً حتى لا ندع الفرصة للمشككين والطاعنين في كتاب الله تعالى ليذيعوا هذا القول على إطلاقه"<sup>(٢)</sup>. فهو استدراك بعد فوات الأوان، وقد سبق السيف العذل، ولما لم يوافق الرازي، لم يسحب تسويغه القول بالصرفة للرازي، فبقي التعليل، والاستدراك لم يشف الغليل.

ولعمر الحق، كيف يهاجم د. عمار الصرفة، ذاك الهجوم ثم يعطيها الاعتبار التالي في قوله: "وعلى الرغم من غرابة هذا القول - الصرفة - وشذوذه، فإن فيه تخطيطاً لهمة كل من تحدته نفسه بمعارضة القرآن، لأنه ممنوع بقدرة إلهية لا يستطيع أن يتخطاها أو يتغلب عليها، فتبقى بذلك المعجزة الإلهية الخالدة مصونة لا يستطيع معارضتها أحد"<sup>(٣)</sup>. والذي يهمني هنا أن هذا الفارس الذي حاجج الصرفيين بقوة، يبدو أنه أتعبه النزال هو الآخر، فدافع عن صرفي في صرفته، ولم يحسن الخلاص من دفاعه.

---

١- عمار، ٥٦.

٢- عمار، ٥٦.

٣- عمار، ٥٢.

وأختم بالقول: هذا بحث يتعب العقل، لأنه يحتاج إلى تفكير عميق، وأقول آخر الكلمات: الإعجاز القرآني شامة البلاغة العربية، وحامي حماها، لا شك في ذلك ولا ارتياب، ووجوه الإعجاز أكثر من أن تحصى وأبلغ من أن تستقصى-. وإن كان للصرفة من مكان في هذه الأوجه المتعددة، فهي صرفة من ذات القرآن ونور البرهان، استصغروا أنفسهم أمام روحه وريحه. وانصرفوا بمحض إرادتهم، وألم بهم العجز، فطراً عليهم، عند سماعه وتدبر آياته. وللباقلاني كلمة ذهبية قالها: " وفيه معنى وهو أنّ أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاماً مطمعاً لم يخف عليهم ولم يشتهه لديهم. ومن كان متناهيّاً في فصاحته لم يجز أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال<sup>(١)</sup>.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، ويتوب الله على من تاب. اللهم بصرنا بالدين وألهمنا فتوح العارفين، واجعل الكتاب الكريم شافعاً لنا، وحجة لنا، لا علينا، يوم لقائك يا رب العالمين، ونور بآياتك قلوبنا، واسترنا بسترك وأنزل علينا سكينتك، وافتح لنا خزائن رحمتك إنك أنت الكريم الوهاب، وعلمنا من لدنك علماً ينفعنا في الدنيا، ويرفع منزلتنا عندك يا أكرم الأكرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الراجي عفوره الغفار  
عمار توفيق أحمد بدوي

## مسرد المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.
٣. أبو موسى، محمد محمد، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، ط ١٤٠٥، ١هـ/١٩٨٤م، مصر.
٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ، بيروت.
٥. ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بلا تاريخ، بيروت.
٦. ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أشرف على طبعه صبح المدني، مطبعة المدني، بلا تاريخ، القاهرة.
٧. ابن جزري، محمد بن أحمد، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، ط ١٣٩٣، ٢هـ/١٩٧٣م.
٨. ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، ط ١٤٠٦، ٣هـ/١٩٨٦م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٩. ابن حزم، علي بن أحمد، طوق الحمامة في الألفة والألف، تحقق حسن كامل الصيرفي، وإبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، بلا تاريخ، مصر.
١٠. ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر، بلا تاريخ، بيروت.
١١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات، بلا تاريخ، بيروت.
١٢. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، بيروت.
١٣. ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مكتبة التراث، بلا تاريخ، القاهرة.

- ١٤ . ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بلا تاريخ، بيروت.
- ١٥ . الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، تحقق محي الدين عبد الحميد، ط ١٣٨٩، ٢هـ/١٩٦٩م.
- ١٦ . الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات القرآن، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار لكتب العلمية، ط ١٤١٨، ١هـ/١٩٩٧م، بيروت.
- ١٧ . الإيجي، عضد الدين بن عبد الرحمن، كتاب المواقف، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ط ١٩٩٧، ١م، دار الجليل، بيروت.
- ١٨ . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلام، بلا تاريخ، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ١٩ . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ٣، دار المعارف، مصر.
- ٢٠ . البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بلا تاريخ، بيروت.
- ٢١ . البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠١، ٣هـ/١٩٨١م، بيروت.
- ٢٢ . البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، رتبة جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٤، ١هـ/١٩٨٤م، بيروت.
- ٢٣ . الجاحظ، خلق القرآن، من رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ١٤١١، ١هـ/١٩٩١م، دار الجليل، بيروت.
- ٢٤ . الجاحظ، حجج النبوة، من رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ١٤١١، ١هـ/١٩٩١م، دار الجليل، بيروت.
- ٢٥ . الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١٣٨٥، ٣هـ/١٩٩٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٢٦. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، محمود شاكر، مكتبة الخانجي، بلا تاريخ، القاهرة.
٢٧. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١٤٠٥هـ، بيروت.
٢٨. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٤، القاهرة.
٢٩. الجويني، عبد الملك بن عبد الله، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، ط١٤١٢هـ/١٩٩٢م، مصر.
٣٠. الحناوي، المحمدي عبد العزيز، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، دار الطباعة المحمدية، ط١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، مصر.
٣١. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن ٨١، دار عمار، ط١٤١٣هـ/١٩٩٢م، عمان. المرسي، كمال الدين عبد الغني، فواصل الآيات القرآنية، ط٣٢. الخطابي، حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والدكتور. محمد زغلول، دار المعارف، ط٤، القاهرة.
٣٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ، بيروت.
٣٤. الخطيب، عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة، ط١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، بيروت.
٣٥. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة، تحقيق علي فودة، ط١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مكتبة الخانجي،
٣٦. الخيون، رشيد، معتزلة البصرة وبغداد، دار الحكمة، ط١٩٩٧هـ، لندن.
٣٧. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ، بيروت

٣٨. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ط ٢، بلا تاريخ، دار الكتب العلمية، طهران.
٣٩. الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب
٤٠. الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤، القاهرة.
٤١. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٩٨٠، ٣، دار الفكر، بيروت.
٤٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، شركة ومكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١٣٩٨، ٤، ١٩٧٨ م، مصر.
٤٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي، بلا تاريخ.
٤٤. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ط ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، بيروت.
٤٥. العجلي، شمران، الإمام الصدر وعلوم القرآن، عن شبكة الإنترنت.
٤٦. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، طبعة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م. مصر.
٤٧. الغزالي، محمد أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٣، ١ هـ / ١٩٨٣، بيروت.
٤٨. الفكيكي، توفيق، مجلة رسالة الإسلام، عدد ١١، مجمع التقريب العالمي بين المذاهب. من شبكة الإنترنت.
٤٩. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ١٤٠٧، ١ هـ، الكويت.
٥٠. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، ط ١٤٢٠، ١ هـ / ١٩٩٩ م، بيروت.

٥١. الماوردي، علي بن محمد، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠١هـ/١٩٨١م، بيروت. هناك أكثر من طبعة من هذا الكتاب ومنها محقق فاخترت هذه لتضمها التاريخ والناشر بوضوح، والبقية خلا من ذلك، أما التحقيق في الأخباريات فليس كما يجب.

٥٢. المجلسي، محمد باقر، مجمع الأنوار، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بلا تاريخ، بيروت. وهذا الجزء خاص بالقرآن الكريم.

٥٣. المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى - غرر الفوائد ودر القلائد ١/١٨٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٤. الهمداني، عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصه أمين الخولي، ط ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

٥٥. الهمداني، عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، القاهرة.

٥٦. بدران، بدران أبو العينين، دراسات حول القرآن، مؤسسة شباب الجامعة، بلا تاريخ، مصر.

٥٧. بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، ط ٢، بلا تاريخ، دار المعارف، مصر.

٥٨. خفاجي، محمد عبد المنعم، أبو عثمان الجاحظ، ط ١٩٧٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٥٩. رسلان، صلاح الدين بسيوني، القرآن الحكيم رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بلا تاريخ، مصر.

٦٠. سلطان، منير، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، بلا تاريخ، مصر.

- ٦١ . شاكِر، محمود، مقدمة تحقيق دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، بلا تاريخ، القاهرة.
- ٦٢ . عامر، فتحي أحمد، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٦٣ . عرفة، عبد العزيز عبد المعطي، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، ط١٤١٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت.
- ٦٤ . علي، عصام الدين محمد، المعتزلة فرسان الكلام، منشأة المعارف، بلا تاريخ، الإسكندرية، والكتاب سفر ضخيم من جزأين في المعتزلة.
- ٦٥ . عمار، أحمد سيد، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.
- ٦٦ . مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم، ط١٤٢٠هـ، ١٩٨٩م. بيروت.
- ٦٧ . وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط١٩٧١، ٣، بيروت.